مكتبتنا العربية

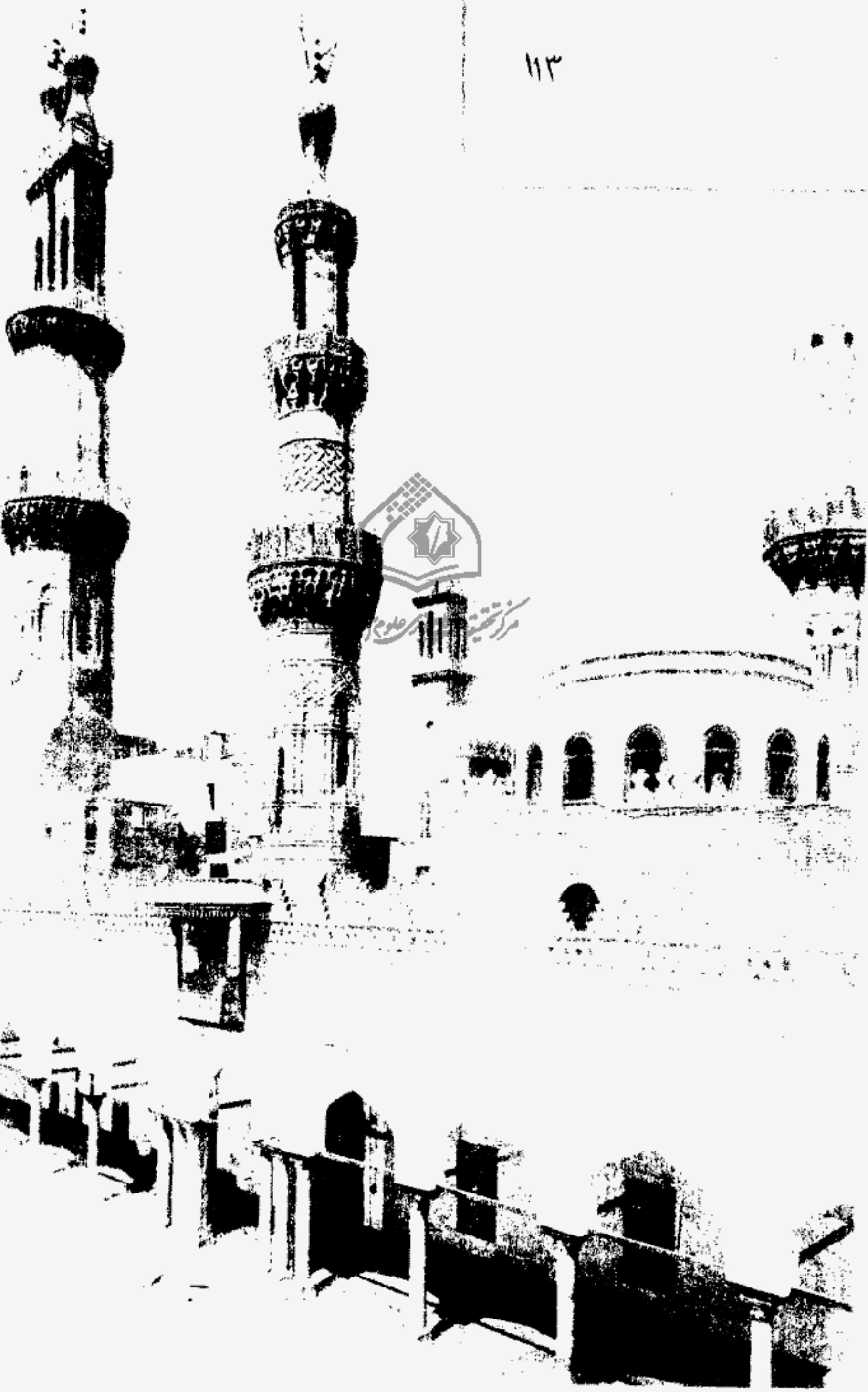

مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥ ثمن الجزء

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

سنة المجلة
محمد فريد وجدي

المحرر
الدكتور محمد عبد الله عنان
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٢ - ١٩ نوفمبر ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف ينبغي محمد الأمة الإسلامية

أكان يدور بخلد أحد ممن عرفوا مكان جزيرة العرب في القرن السادس للميلاد، أن هذه الجزيرة ستحكم الدنيا يوما من الأيام؟

أكان يدور بخلد أحد أن هؤلاء الشراذم والأوزاع، سيحاربون دولة الأكاسرة ودولة القياصرة، فيرثون ملكهم وأرضهم وديارهم؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه القبائل العربية وهي متحاربة متنابذة يجمع الله بينها، ويوحد رأيها، ويؤلف بين قلوبها، حتى تصير كتلة واحدة تأخذ مكانها في الوجود، رغم العقبات والنكبات والسدود والحوائل؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه العقائد الفاسدة، والنحل الباطلة، وعبادة الأوثان والأصنام، والخضوع للعرافين والكهان، تطهر منها نفوسهم، وتحل محلها عقائد صحيحة وتعمل حقة عليها جلال اليقين، ونور العلم؟

نعم إن ذلك قد كان، وفي أقل من قرن من الزمان. وكان على يد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي. وهذه هي العجيبة الأخرى، فهل كان يدور بخلد أحد أن هذا اليتيم الذي فقد أبويه، وخرج إلى هذه الدنيا دون معين يعينه، ولا ناصر ينصره، لم يتعلم العلم ولم تثقفه جامعة، يقوم بهذا العمل العظيم ويأتي بهذا الأمر الجسيم؟

مكتبتنا العربية

هذه حكمة الله وهذا قضاؤه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالاته ، وأعلم من يصلح لها من الناس ، وبعلم من تكون فيهم من البشر . فليس كل أمة تصلح أن تحمل فيها الرسالة ، وتقوم بأعبائها .

ويجب على مصر وهي في مستهل عهد جديد ، تبحث عن الوسائل التي تهيئ لها أسباب العزة لتعز ، وأسباب القوة لتقوى ، يجب عليها أن تدرس تاريخ صدر الدولة الإسلامية ، وماذا فعل بالأمة العربية ؟ إننا إذا درسنا ذلك وجدنا أن أسباب نهوض الأمة العربية كثيرة ، أهمها أن محمدا هداه الله إلى أن يغرس فيهم الإيمان ، ويملأ قلوبهم وآمنوا بالله وبأنبيائه ورسله وباليوم الآخر الذي يجزى فيه المرء بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فوصل حياتهم الأخرى بحياتهم الدنيا .

وأي امرئ لا يستمسك بعمل الخير ليجزى به خيراً ، ولا يرتدع عن الشر ليجزى به شراً ؟ وأي امرئ يعمل الخير وينأى عن الشر ، لا يمنعه الخير الذي يعمله ، والقنطرة التي تحجزه عن الخير الكثير الذي ينتظره .

وبذلك ربى فيهم الضمير الديني الذي يدفعهم إلى العمل الخير ويمنعهم من عمل الشر ، وبذلك ربط بينهم وبين حب الحياة وكراهية الموت ، فكانت النفوس التي تكون منها الأمة نفوساً قوية متينة .

ثم رأى أن الأمة العربية أمة أكلها التعصب القبلي ، فكانت كل قبيلة تعادي الأخرى ، وكانت تقوم الحرب بينها أكلها ، وتستمر الطوال ، فوحد بينها ، وألف بين قلوبها ، وأبطل من عوامل التفرقة ما ليست للدم والجنس ، وإنما هي للحق والخير ، وهي عصبية الإنسانية .

وبذلك كوّنهم مجتمعاً قوياً يثبت للحدثان ولا يهن ، وغرس في نفوسهم ، وأدخلت فيهم العزة والكرامة ، فأراهم أنهم خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالقيم البشرية ومنقذو الإنسانية .

فلا عجب بعد ذلك أن تنساب هذه الأمة ، القوية ، المتحابة ، المتعاونة ـ على العالم القديم لتخلصه مما هو فيه من ظلم ، وتقيم فيه حكاما عدولا يعدلون في الرعية ويقسمون بالسوية .

مكتبتنا العربية

ماذا يقف فى سبيلها ؟ إنها مؤمنة متحابة متعاونة ، إنما تبغى رضا الله وفى تخليص العالم رضاه . وهى قد وضعها الله النور ، وطلب منها أن تنير الطريق للمدلجين .

إنها كانت تحارب وهى مقدرة أن تفوز بإحدى الحسنيين : الغلبة والنصر ، أو الشهادة والأجر ، وكانت تتربص بأعدائها أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيديهم .

إنها كانت تؤمن أنها تقوم بأعظم عمل وتؤدى أجل رسالة فى الوجود ، وهى هداية الحيارى من البشر ، ونشر الفضيلة ، ومبادىء الخير والحق .

أما أن لها أن تستفيد من عدو الرسول فى تربية أمتنا ؟

إن الفهم الجديد على الرغم من آلامه العوائق ، فله الحرية والاختيار فى أن يبنى أمته على الأسس التى يختارها .

وأول ما يجب ... فى الإسلام ، أن نغرس الدين ونقوى اليقين فى نفوس الناشئين ، وذلك بتعميم التعليم الدينى الحق فى المدارس ، وإقامة الشعائر الدينية فيها .

وينبغى أن يلاحظ أن ... ما يعمم التعليم الدينى ولا يأتى بالأثر المطلوب ، لأنه لا يلقى بطريقة تستولى على القلوب ... ولا يعطى لدروسه الإجلال الواجب . فليتنبه إلى هذا .

ثانيا أنه يجب أن ... التفرقة والخلاف ، وأن يعنى بالأخوة الإسلامية فتغرس فى القلوب ... أكثر مما يعنى بأشياء أخرى أقل منها أثراً .

ثالثا أن نرى أمتنا تعود بالكرامة والعزة ، بنشر الصفحات الناصعة من تاريخ رجالها فى العلم والحرب والأخلاق ... أن يلغى هذا البرنامج الذى كان يهدف إلى إضعاف نفسية الأمة ... والإيمان بالأمور الأخرى .

وإن أرسو إذ أعظم ... الإصلاح ، أن تعيد الأمة مجدها . وتقطع هذه الحلقات الممتدة ، وتتصل بتلك السلسلة الذهبية من آبائنا الغر الميامين .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

الأدب خير المواريث

يروى الترمذى فى سننه عن سعيد بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ما نحل والد ولداً من نحلة ، أفضل من أدب حسن »

مكتبتنا العربية

الإنسانية بين النظام المحمدي والنظام الشيطاني

يحتفل المسلمون في هذا الشهر بذكرى المولد المحمدي العطر الذي [illegible] الإنسانية طليعة معجزاته قبل أربعة عشر قرنا ، ولو [illegible] لو عرف المسلمون رسالتهم ، واستعدوا للاضطلاع بها [illegible]

في مثل هذا الشهر من العام الماضي لم يكن يحتمل على بال [illegible] مصر ، أن الذي حدث بين ظهرانينا في أربعة الأشهر الأخيرة [illegible] أو في الجيل الذي بعده . والذين يفكرون تفكيرا عميقا [illegible] أنهم في هذه الأشهر الأربعة في منام : لأنهم كانوا يرون [illegible] أن الباشويات والبكويات هي كل شيء في مصر ، ثم [illegible] القوة على الضعف ، والثروة على الفقر ، هو الأمر الطبيعي الذي [illegible] البغي أن تنكب على وجهه في الأرض ذليلا حقيرا ، [illegible] للرذيلة دولة وأبطالا ، ومعاقل وحصونا ، وأسوارا [illegible] بعيونهم المسحورة - بهاء وجمالا ، وخاطبين ومزلزلين [illegible] من يودون لو يبتغون الوسيلة إلى أولئك الأبطال [illegible] أسمائهم ، على زعم أن العيش لا ينال إلا بذلك . [illegible] النظام سافله ، ومحا آية الليل بآية النهار ، وصار أبطاله [illegible]

إن هذا الانقلاب أكبر من أن يكون من عمل البشر [illegible] لهذا الأمر العجيب أن يتم ، لأن نفحة من نفحات الله [illegible] صاحب ذكرى ربيع الأول ، كانت تهب على قلوب عدد قليل [illegible] مع نسماتها ، وحركوا دفة سفينتهم على ما يروونه من [illegible] قيادهم لما اقتنعوا به من أنظمتها الإلهية ، فكافأهم الله [illegible] - بحول الله وقوته — عظيم .

لقد كان أمام مصر قبل أربعة أشهر ثلاثة أنظمة :

أحدها ، نظام الذئاب ، ، الذي كنا نعيش فيه إلى [illegible] (٢٦ يوليو ١٩٥٢) م ، فكان الأخ الشقيق ينهش [illegible]

مكتبتنا العربية

[illegible] ! وكان الزميل يتمنى الشر لزميله ، ويدأب على قطع موارد الخير عنه ، واستباع حتى إذا لقيه استقبله معانقاً ، وقبل خديه من يمين وشمال ، وقد يكون هؤلاء جميعاً — في الأصل — من أهل المعادن الطيبة ، ومعذرتهم إلى ضمائرهم فيما يصنعون [illegible] ضرورات العيش ، والنظام القائم في ذلك المجتمع ، يقضيان عليهم بأن يكونوا هكذا ليضمنوا لأنفسهم الحياة والبقاء . . .

والنظام الذي سميناه « النظام الإسرائيلي » ، الذي أملاه اليهود على الغرب ، وأغروه به ، أو جعلوه منه أعلم أمره وفيه ، أو عملوه له ، أو توصل غيرهم إلى بعض مبادئه فوجد اليهود تلك المبادئ داخلة في نظامهم ، فأيدوها وروجوها ، ونشروها ، حتى صارت من صلب ذلك النظام المعمول به في الغرب ، والذي أخذنا نقتبسه عنه منذ نحو مائة سنة ، فنمشي نواوين ممكنا [illegible] وسار في مجامعنا ، وسابق نساؤنا رجالنا إليه في الأزياء والآداب والمحاضرة [illegible] ، وكثيراً ما سواه ، فأصبح الرجل المستقيم منا هو الذي يدعوه الناس بأنه ملتزم لذلك النظام وغير مخل بشيء من أصوله أو فروعه أو آدابه .

إن اليهود — من الوجهة [illegible] — مبثوثون في بلاد الناس ، وقد تقدموا ونجحوا بأموالهم ومساعيهم وذكائهم ونشاطهم ، وبما شهد لهم به عارفوهم وإقناعهم المتعاملين معهم بأن من مصلحتهم أن يتعاملوا معهم ، وبهذه الوسيلة استطاعوا أن يتذوقوا ما هم العكر بين الناس ، وأن يشوبوا الورد بما يشاءون [illegible] المجتمع أعلوا على الناس أوضاعاً ومذاهب : أولها في الماسونية [illegible] ومقوماتها ومبادئها وغاياتها ، وآخرها في الشيوعية ومبادئها وغاياتها . وفي التجارة والاقتصاد [illegible] ، وهم مخترعو البنك والكمبيالة والأسهم ونظام الفوائد ، وهم المتفننون في الأزياء وتوافه [illegible] ، وهم مبتدعو الانتخابات في كل بلاد العالم ، وآخرها انتخابات أمريكا [illegible] التي كانت في عهد [illegible] لا زنهاور ، وكانت قبله لترومان ، وقبلهما لروزفلت ، فإن [illegible] التي رأسها [illegible] كانت اليهود . وكانت أموالهم وصحفهم وشركات أخبارهم ووسائل وسائلهم من ورائها إما معها وإما عليه .

إن النظام اليهودي [illegible] « تبادل المنفعة » ، وافق هذا التبادل الفضيلة أم خالفها . [illegible] لا يبالي عندهم هو الخير [illegible] القانون ولا تعاقب المحاكم عليه ، ولا يبالون بعد ذلك أن يكون هو الحق في نفس الأمر أم لا . واليهودي إذا عاملك قد يلتزم أن يكون أميناً في معاملته لا لأن الأمانة فضيلة في نفسها ، بل لأجل أن تقابله عليها بمثلها ، ومرافق الخير التي يقيمونها [illegible] المستشفيات ، إنما يقيمونها على أساس من المصلحة المادية والطائفية ، [illegible] لا يعملون الخير إلا لثمرته المادية التي يتوقعونها ، أو لدفع أذى كان

مكتبتنا العربية

يكون عليهم أكبر مما يرزءون فيما يصيب الواحد منهم [illegible]

هذه البادىء التى وضعها اليهود ، وشاع العمل [illegible]
وكان المثقفون فى الغرب من أبائنا يرونها سائدة فى ذلك [illegible]
ورأوا النظام الشاذ السائد فيه والذى سميناه « نظام [illegible]
هو نظامنا الطبيعى ، وهم معذورون إذا وصموه [illegible]
الفضيلة ، وكانوا بعد أن يندمجوا فى مجتمعنا ويتبوءوا [illegible]
ومؤهلاتهم يقاومون نظامنا الشاذ أياما أو أشهراً ، ثم [illegible]
يكونوا من أئمته وأقطابه . وهذا ما كانت عليه الحال عندنا [illegible]
ما عليه الغرب فى نظام « المصلحة المتبادلة » حتى يومنا هذا

****

إن صاحب ذكرى ربيع الأول ، صلوات الله وسلامه [illegible]
كنا منتمين فيه . وإن الله عز وجل ، الذى بعث محمداً ﷺ [illegible]
هو خير ، كان ساخطاً على نظامنا وأخلاقنا وكل [illegible]
السبع بعثة من بنى إسرائيل ، فى بقعة ضيقة من الأرض [illegible]
الأردن أوسع منها وأعظم ، انتهينا معهم إلى النتيجة [illegible]
بعضنا بأن الجفنة من بنى إسرائيل التى اصطدمنا [illegible]
ولو فكروا ، لحكموا بأن تأييد الغير لها حجة على أن ما [illegible]
ولذلك مالت من تأييد الآخرين مالم نستطع أن نناله .

****

هذه إشارة خاطفة إلى النظام الذى كنا عليه إلى [illegible]
الإسرائيلى الشائع الآن فى أوربا وأمريكا . وإن الدنيا اليوم [illegible]
تهيأت أسبابها كاملة من اليوم الذى انتهت فيه الحرب العالمية [illegible]
فيها عن إيقاد نارها ، إلا الأوجاع والأوصاب التى [illegible]
الماضيتين . وأمل كل فريق من الفريقين أن يكون الوقت [illegible]
فيتقدموا للحرب الثالثة بعدة أكمل ، واختراعات يمتازون [illegible]
الحرب المنتظرة فى السنة القادمة أو بعد سنوات ، فإنها آتية [illegible]
ومتى اندلع لهيبها ، فإنها لاتنتهى إلا بتحطيم المنتصر [illegible]
أحد النظامين : الالتجاء من جديد إلى النظام المحمدى [illegible]

مكتبتنا العربية

[illegible] النظام الإسرائيلي استعداداً لحرب عالمية رابعة ، [illegible] عشرات السنين [illegible] هذا النظام الإسرائيلي إجمالا على قدر ما تحتمله إشارة [illegible] في مقال . فما هو هذا النظام المحمدي ؟ هذا ما أردت تذكير المسلمين به في ذكرى [illegible] هذه الذكرى العطرة لمولد نبي الله وسلامه عليه .

إن النظام المحمدي يعالج الناس من حيث هو حق . خالصاً من كل ما قد يشوبه [illegible] وإلى [illegible] مجرداً من كل طارىء عليه . وإذا كان النظام [illegible] المعمول به الآن في [illegible] قائماً على مبدإ « المنفعة المتقابلة » ، فإن النظام الإسلامي [illegible] على مبدإ « الإيثار » . فالشريكان في النظام الإسرائيلي يحرص كل منهما على [illegible] كان لا يرضى في [illegible] إذا كان نصيبه خمسين في المائة استوفاها بحذافيرها . وفي النظام المحمدي يحمل كل من الشريكين نفسه على الرضا بالقسمة والأربعين من الخمسين [illegible] ذلك من شبه الحرمان . ولتطيب نفس شريكه بهذه القسمة فتدوم المحبة [illegible] وتسير دائرة التعاون والتضامن في عملهما . ومن الأمثلة على ما بين النظامين [illegible] الفروق : أن المستأجر إذا [illegible] فإن المساكن في حالة الحرب — مثلا — فمنعت [illegible] من زيادتها على ما كانت عليه قبل الحرب ، على اعتبار أن أصحاب العقار أوسع حالا وأغنى [illegible] من المستأجر ، [illegible] في مالكي العقار أسرة فقيرة ، لا مورد لها تعيش منه [illegible] إلا أجرة عقارها ، [illegible] الحياة بسبب الحرب فإن مستأجر عقارها إذا كان [illegible] حالا من [illegible] من العاملين بالنظام الإسرائيلي ، فإنه يصر على الاستفادة [illegible] قانون منع الزيادة في أجور المساكن . ويحرم تلك الأسرة الفقيرة صاحبة العقار من [illegible] الأجرة التي كانت [illegible] عليها لولا ذلك القانون ، ولا يعذبه ضميره عند ما يراها [illegible] من ألم الجوع . أما إذا كان من العاملين بالنظام المحمدي فإنه لا يتقيد بما أباحه له [illegible] من منع الزيادة في أجور المساكن ، فيلاحظ أن الحكمة في هذا القانون أن يحتمل الغني [illegible] أعباء الذين هم أقل منه حالا ، فيطبق هذه القاعدة مع مالكي العقار الذي يسكنه ويزيدهم [illegible] في الأجر بنسبة [illegible] حالة الحرب متجاوزاً عن الامتياز الممنوح له من قانون [illegible] الزيادة في أجور المساكن .

[illegible] جميع أنظمة الغرب التي كان لليهود إصبع في وضعها أو في تعديلها أو في تفسيرها [illegible] وتفسيرها ، قد وضعت إما لمصلحة أصحاب رءوس الأموال ، أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل [illegible] القوة والتأثير ، أو لترضية [illegible] من النزعات التي يرتاح إليها فريق ويسخطها آخرون .

مكتبتنا العربية

أما النظام المحمدى فإنه فى جميع تفاصيله منتزع من [illegible] مع نسمات الرحمة ونفحات الرضا، واعتبار أن القليل [illegible] أو بعض بقيها يعوض عنه بالكثير مما عند الله فى عالم [illegible] نصف هنا من هذا النظام ملامحه وقسمات وجهه ووسيما [illegible] جميع نواحيه حتى يكون معلوما كله، فهذا يحتاج فى بيانه إلى [illegible] المجلدات أبدا، بدليل أنه لما أطل على الدنيا فى خارج [illegible] إلى مصر والشام والعراق وشمال إفريقية، ثم مشى بعد [illegible] وصقلية وجنوب فرنسا وبعض البلاد الإيطالية فى [illegible] إلى السند والأفغان والقفقاس حتى بخارى وخيوة [illegible] لم يحملوا معهم تلك المجلدات إلى الناس مفصلا فيها [illegible] عنها بأخلاقهم ومعاملتهم للناس، فهمها الناس من [illegible] فكان انتشار هذا النظام بالقدوة والأسوة [illegible] الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه.

والآن وقد نسخ الله نظام الذئاب فى مصر [illegible] حصونه ومعاقله على رءوسهم، فقد آن لمصر أن ترجع إلى [illegible] من المنزل، فيتعامل به الأب مع بنيه والأخ [illegible] مع جيرانه والأقارب مع ذوى قرابتهم، والموظف [illegible] والشريك مع شريكه، والبائع مع زبائنه، و[illegible] شاعت أساليب النظام المحمدى فيما بين الناس [illegible] أن يكون لها أثرها فيما تجدده الدولة من أنظمتها [illegible] أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والا [illegible] وكما تكونوا يولى عليكم»، وقد يحسن الله إلى الأ[illegible] ذلك منه لها على سبيل الامتحان، فإن تجاوب صلا[illegible] وإن لم يتجاوب صلاحها مع صلاحه، فإنها لا تأمن [illegible] بسيرتها وعملها. وإذا كانت الدنيا قد تغيرت [illegible] رضى الله عنهم فى مدة قصيرة من الزمن، فإن [illegible] المحمدى، يوم تراثنا نعمل به ويظهر لها أثره فى [illegible]

مكتبتنا العربية

[illegible] بعضنا [illegible] من كل شر من الله عز وجل من صنوف البر ووجوه التقوى .

إن مصر لم [illegible] — لم تكن بلاداً إسلامية قبل أن يترجم الصحابة نظامهم الحمدى للناس بأخلاقهم ومعاملاتهم ، فلما ترجموه لهم بأعمالهم الصالحة وبسلامهم المستفيض وبأخلاقهم الرضية ونفوسهم المتواضعة الرحيمة ، فهمه المصريون وأحبوه في عشرات السنين من السنين وارتضوا هذا النظام مسرورين مغتبطين ، لا فيما يتعلق بالسلطان للدولة ، فهذا كان مقضيا فيهم على كل حال ، ولكن فيما لا سلطان للدولة عليه فيه من صلة الرجل بربه ، والأب وبنيه والشريك مع شريكه والجار مع جيرانه والناس مع بعضهم البعض .

وإن مما يقال فيما يتعلق بالمنبر الخطابية ، أن كذبة المنبر لقاء مشهورة ، أى أن الخطيب [illegible] على المنبر يقول أشياء من أعواد المنبر ، لأن الكذب فى هذا المقام لا يلبث أن يشتهر بين الناس ويفتضح أمره ، والصحافة اليوم أوسع نطاقاً من صدى الصوت يرسله الخطيب من المنبر ، لأنها تعم البلاد وتسير فى البر والبحر والجو . وإنى أرسلها كلمة صادقة إن شاء الله من هذه الصحيفة المباركة التى تصدر عن أقدم معاهد العلم فى الإسلام ، فأقول لإخواني المسلمين : إن العالم يمر [illegible] الآن ليسير فى العشرات القليلة الآتية من السنين إلى وراء الظلام فى إضلال [illegible] فيغمس فى الشرور التى يتخبط فيها اليوم ، أو وراء نظام يعيش به إخواننا [illegible] النظام المحمدى — فينتشل الإنسانية من الوهدة التى هى [illegible] فيها . وحينئذ تقلع الصحراء عن الختل والغدر والرياء والشر . ولكن هذا لن يكون [illegible] إلا إذا أسلم المسلمون [illegible] إلى نظامهم المحمدى فى أخلاقهم ومعاملاتهم ، وفى بيوتهم [illegible] فيما بينهم . فهل [illegible] ؟ فإذا فعلوا فإنى لا أقتصر فى بشارتى لهم على أن مصر [illegible] بالنظام المحمدى — أى أنى — واحدى الدنيا فيما أدعيه — بأن الدنيا كلها ستعرف [illegible] وستتخذه إماماً لها ، ستعمل بنظامه . لأنها لا نجاة لها مما هى فيه إلا به . أما إذا أصر المسلمون على أن يبقوا مسلمين بشهادة البلاد ، وعلى أن يتكلموا بالإسلام ولا يعملوا به ، فإنهم سيلبسون لأيكهم وأثم الإنسانية كلها ، وسيلقون الله وهم حاملون هذه الأوزار على ظهورهم ، فيحاسبون عليها حساباً عسيراً .

أيها المسلمون [illegible] فى أى حيث كنتم ، وقديماً قيل : « المرء حيث يضع نفسه » .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

مَوْهِبَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم السِّيَاسِيَّة

لا يكاد التاريخ يعرف رجلا حمله الله بالكمالات [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا رجلا تجمعت فى سيرته العبقرية من [illegible] وجوانب العظمة فى السيرة المحمدية مشرقة خصبة ، تستولى [illegible] بقوتها وخصوبتها . وما السيرة المحمدية إلا كبستان حافل [illegible] الشذية ، لا يكاد الإنسان يهم بقطف ثمرة أو زهرة حتى [illegible] ولا يزال فى حيرة من أمره حتى يقطف أدناها إليه .

هكذا كان شأنى حينما هممت أن أكتب فى ناحية [illegible] لى أن أكتب فى عبقرية من عبقرياته ، ألا وهى سياسته [illegible] وساس بها الناس جميعاً . هذه السياسة التى [illegible] العميق ، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع الناس [illegible] وصدق الله ، فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت [illegible] فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا [illegible] ما فى الكلمة من معانى الإنسانية ، اختاره الله من [illegible] ميلاد إلى وفاته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وامتلأ [illegible] بهذه السياسة النبوية الرشيدة . وقد تجلت باكورة [illegible] الكعبة المشرفة من مر مالها وأطهره ، حتى وصلوا إلى [illegible] القبائل فيمن يكون الواضع له ، وتحركت العصبية [illegible] تشتعل فتأكل الأخضر واليابس ، لولا أن تداركهم [illegible] أول داخل من باب بنى شيبة . وشخصت الأبصار [illegible] فإذا به أمينهم محمد بن عبد الله . فارتضوه حكما . ورأى [illegible] والأيدى تكاد تأخذ بالسيوف ، فتفتح عقله الكبير [illegible] الفتنة وهى فى مهدها ، فبسط ثوبه ووضع عليه الحجر [illegible] كل رئيس بطرفه ، حتى استووا به إلى حيث يوضع [illegible] شر فتنة لا يعلم مداها إلا الله .

مكتبتنا العربية

[illegible] ما حدث في بيعة العقبة الثانية ، فقد دبرت تحت جنح الليل وأخفيت عليهم إلى أقصى الحدود ، حتى لا يفسد أعداؤهم عليهم الخطة ، وكان مما قاله في هذه الليلة ، ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة ، فإن عليكم من المشركين عيناً ، وكان لهذه البيعة آثارها البعيدة في انتشار الإسلام في المدينة ، وبالتالي في تسهيل الهجرة إلى المدينة .

ولما علم النبي ﷺ بنجاح البيعة أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة فعل أمراً عجباً ، ذلك أنه أخى بين المهاجرين والأنصار ليكونوا إخوة متحابين ، وكانت هذه الأخوة الدينية بمنزلة الأخوة في النسب ، بها يتناصرون ويتوارثون ، حتى انتشر الإسلام وكثر المسلمون ، فجعل الله الإرث بالقرابة دون ذلك ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ﴾ ، وكان من هذه المؤاخاة بالغ الموقعة في توثيق عرى الأخوة والمحبة بين المهاجرين والأنصار ، فكانوا يتناصرون ويتعاضدون ، ويسيرون قوة لا يستهان بها أمام أعدائهم المجاورين لهم

[illegible] الباب السياسة المحمدية البصيرة ، فلك ما حدث في [illegible] المصطلق

[illegible] للفاروق عمر بن الخطاب مع رجل جهني حليف للأنصار ، واستغاث الجهني بالأنصار ، وغضب المهاجرين ، وكادت تقع فتنة أراد أن يشعلها [illegible] المنافق ، فقال وهو يريد أن يوقع بين المهاجرين والأنصار : أوقد فعلوها ! قد كاثرونا ونافرونا في بلادنا ، ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ائذن لي في قتل هذا الخبيث المنافق ، فقال النبي ﷺ : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولكن أذن بالرحيل » .

وسار رسول الله ﷺ بالجيش يومه الذي لم يكن يرحل فيه ، فسار بهم يومهم ذلك حتى أمسى [illegible] حتى آذاهم الشمس ، فنزل بالناس ، فلم يلبثوا أن [illegible] الأرض حتى ناموا ، وكان غرض النبي ﷺ أن يشغلهم بالسير عن [illegible] وقع ، وذلك [illegible] من فتنة وخيمة العواقب ، ولما علم عبد الله ابنه [1]

[1] عبد الله بن أبي ابن [illegible] من المنافقين ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي كان من خيار المسلمين [illegible] من ذلك ما لا يقتضي

مكتبتنا العربية

ـ وكان من خيار المسلمين ـ بما قال أبوه ، جاء إلى النبي
ابن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرني وأنا
ما كان بها أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر
إلى قاتل أبي يمشي في الناس ، فأقتل مؤمناً بكافر فأ
لقد كان جواب الحكيم الرؤوف الرحيم بالمؤمنين
« بل نترفق به ونحسن صحبته ما دام معنا »
ابن أبي المنافق كلما أحدث حدثاً أقبل عليه قومه و
وقد أراد النبي ﷺ أن يبين لعمر ، رضي الله
يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي ، لأرعدت له
عمر وهو الملهم المحدث « والله لقد علمت ، لأمر

ولما قسم النبي ﷺ غنائم هوازن ، التي أفاء
والمؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار ، فوجدوا
ولا يعطيهم . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ جمعهم
وأثنى عليه بما هو أهله : « يا معشر الأنصار
الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ » قالوا
الأنصار » ، قالوا : وما نقول يا رسول الله ،
وصدقتم جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فأغنيناك ،
المن لله ولرسوله . فقال رسول الله ﷺ
في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم
أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير
برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده ، لو
شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة
الأنصار وأبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى أخضلوا
قسماً ، ثم انصرفوا بعد ما ثلجت صدورهم ورضوا
أروع من هذه الخطبة البليغة الجامعة بين الحق والخير
لا التواء فيها ولا وعود كاذبة ولا إنكار للجميل

مكتبتنا العربية

... هذه الكلمات الرقاق الصادقة ، التي تضرب على أوتار القلوب ، وتهز المشاعر وتستولي على الوجدان ؟ وأي سياسي - مهما سمت منزلته - يصل به التواضع إلى تقرير الحقيقة التي فيها هضم النفس والإقرار بالفضل لتابعيه ، بهذه الصراحة التي لا تملق فيها ولا مداهنة ؟

لا إن هذه السياسة الحكيمة لا بد أن تكون إلا من مثل سيدنا محمد ، الذي وهبه الله عقلا كبيرا ، وقلبا عظيما ، وخلقا رحيباً ، وفطرة سليمة تسمو عن النظير .

وما قل من كثير ، مما يمتاز به السيرة المحمدية من ألوان السياسة العبقرية . وقد كان من تلاميذ هذه المدرسة المحمدية وأبنائها السادة النبهاليل أبو بكر وعمر وعلي وخالد وأبو عبيدة وأضرابهم من عظماء الرجال الذين سادوا الناس السياسة ، الذين رفعوا شأن الإسلام ووسعوا رقعته وتركوا ذكراً خالداً . لا يزال الدنيا تردده بالإعجاب والإكبار .

محمد محمد أبو شهبة
المدرس بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حسنات أبناء الملوك

روى أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا (في كتابه مجالس) أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لبنيه : «يا بني ، لو عددتم ما أنتم فيه مما كنتم تقبلون عليه ؟ » .

فقال الوليد : أما أنا فعندي حربتي . وقال سليمان : وأما أنا فكاتب سلطان .

فقال ليزيد : فأنت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما تركا لي حظاً لختار .

فقال عبد الملك : فإن أنتم ما فيكم من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم . قالوا : تلك صناعة [illegible] قليل الرغبة ، ولا يجمع صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية .

فقال : عليكم إذن بطلب الآثار ، فإن كنتم ملوكا سدتم ، وإن كنتم وسطاً رأستم ، وإلا فهو زينكم المعيشة منكم .

مكتبتنا العربية

فى الفقه الإسلامى

نشأته - [illegible]

١ — نذكر الآن ، بعد ما عرفنا فى [illegible] الصحابة [illegible] أحيانا فى مسائل الفقه التى لم يرد فيها نص من [illegible] إليه [illegible] هذا الاختلاف :

(ا) كان الصديق ، رضى الله عنه ، يسوى [illegible] المسلمين فى [illegible] ذكر له أن الخير فى التفضيل تبعاً للسابقية فى [illegible] أعرف المسلمين بذلك ، ولكنه يدع هذا لله [illegible] فالأسوة فيها خير من الأثرة .

فلما صارت الخلافة للفاروق وجاءت الفتوح [illegible] يسوى بين من قاتل رسول الله وبين من قاتل [illegible] [أى فى المال] إلا كأحدكم ، ولكننا على [illegible] الله عز وجل وأسوة رسول الله ﷺ ، فالرجل وبلاؤه فى الإسلام ، والرجل وغناؤه فى الإسلام ، وحاجته فى الإسلام » ، وهكذا ، فضل [illegible] المعلم به الذى ارتضاه (١) .

(ب) وأكبر من هذا الخلاف أثراً فى [illegible] الصحابة فى قسمة الأرض التى افتتحها المسلمون فى [illegible] على أن يوضع عليهم الخراج ليكون عُدَّة للمسلمين [illegible] وكان من رأى الله عنه عدم قسمة الأرض ، ومن رأى آخرين [illegible] فريق يجد له سنداً من القرآن ، مما جاء من ذلك فى [illegible] سورة الحشر .

وكان من كلام الفاروق فى ذلك : « كيف بمن يأتى من المسلمين فيجد الأرض قد [illegible]

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، ج ١ : ١٨٢ ، [illegible]

مكتبتنا العربية

[illegible] كما كان مما أثر عنه : أرأيتم هذه الثغور ، لا بد لها من رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام ، لا بد لها أن تشحن بالجيوش ؛ فمن أين يأتيها من [illegible] إلا من هذه الأمصار التي افتتحوها ؟ ولم يرض الفاروق أن يستبد برأيه ، بل [illegible] فيه ، فحكموا بأن الرأى الحق رأيه ، واطمأن [illegible] وكان هذا إلهاما من الله ، وتوفيقاً للخير العام في [illegible] والآجل من الزمان .

(ب) ومن الخلافات في [illegible] الطلاق ، ما كان من عمر حين جعل الطلاق الثلاث [illegible] واحدة رجعية بفتوى كبرى ، مع أن الأمر جرى طول عهد الصديق [illegible] من خلافته على أن ذلك طلقة واحدة رجعية ، لكن الفاروق قال في [illegible] الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ! فكان أن [illegible] عليهم ، فجعل أمرهم في الطلاق . وهو أبغض الحلال إلى الله . وهنا نجد [illegible] السعادة يخالفونه ويذهبون إلى رأيه واحدة ، ومنهم علي وأبو موسى الأشعري[1] .

وبهذا الأمر نجد [illegible] عمر على رأيه ، حتى صدر أخيراً في مصر [illegible] الشرعية بمنع إيقاع الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة ، علاجاً لمشكلة [illegible] من طول السير في استعمال الطلاق بسبب وبغير سبب .

٢ - [illegible] طال عصر الخلفاء الراشدين ، تجيء فترة صغار الصحابة [illegible] ، وتبدأ هذه الفترة عام ٤٠ هـ الذي آلت فيه الخلافة إلى الدولة الأموية ، [illegible] المائة الأولى ، وقد تميزت هذه الفترة من حياة الفقه بأمور :

(أ) فرق المسلمين سياسياً إلى خوارج وشيعة وأهل السنة والجماعة ، وكان لذلك أثره [illegible] ، وكذلك الشيعة ، لم يكونوا يعتمدون من [illegible] إلا ما رواه علماؤهم ، بل حين كان يعتمد جمهور المسلمين ما صح عندهم من [illegible] وقد نقل عن أئمتها بعض رجال الفرق الأخرى .

(ب) انتشار الصحابة وتابعيهم من الدارسين في البلاد الإسلامية المختلفة ، وكان منهم من [illegible] وأهل البصرة بالكتاب والسنة وآراء كبار الصحابة في مسائل الدين والفقه عدد

(١) إعلام الموقعين ، ج ٣ ، ص ٣ ، وما بعدها .

مكتبتنا العربية

كثير . وطبيعى أن يصح من الأحاديث عند البعض ما لا [illegible] وذلك أمر مختلفة ليس هنا موضع بيانها .

(ج) كثرة الآراء الفقهية والفتاوى فى [illegible] أحكامها ، وبخاصة وقد وجد المسلمون أنفسهم فى [illegible] ما كانوا يعرفون فى الحجاز والبلاد العربية الأصلية [illegible] وفتاوى للعقل فيها مجال كبير بجانب تلك العادات والأعراف .

(د) وربما كان الشك فى كثير من الأحاديث [illegible] ، الرأى ، أو القياس فى الفقه . فإن كثيراً من الورعين [illegible] والكتاب والسنة ، حيث رأوا شيوع التحديث عن الرسول والكذب عليه أحياناً ، [illegible] الأحكام الشرعية إلى اجتهادهم الخاص فى فهم القرآن وإثبات صحته ليوم [illegible] الخلاف فى الأحكام والفتاوى فى الأمر الواحد [illegible] والشيعة من آراء وفتاوى خاصة تتبع مذهبهم فى الفقه .

(هـ) ظهور نزعتين فى الفقه والتشريع : نزعة أهل الرأى والقياس ، وقد ظهر تبعاً لذلك ، مفتون من كل من الطائفتين [illegible] وجمهرة أهل الرأى والقياس بالعراق ، ولا عجب فى ذلك [illegible] الصحابة الأولين ، والعراق بلد جديد فى الإسلام [illegible]

وكان لكل طائفة رئيس هو حامل لوائها . فرئيس [illegible] المسيب المتوفى عام ٩٣ هـ ، وزعيم أهل القياس إبراهيم [illegible] سليمان الذى يعتبر شيخ أبى حنيفة ، وقد توفى عام ١٢٠ هـ .

وقد تفرع فيما بعد ، أصحاب الحديث من الفقهاء [illegible] منهم الظاهرية أتباع داود بن على ، ثم ابن حزم ، الذين [illegible] الظاهر من القرآن والسنة ، ومن يتتبع كتب الفقه يرى بوضوح كثرة الاختلاف [illegible]

---

(١) نسبة إلى قبيلة كبيرة من مذحج باليمن ، ورجح [illegible] من طيء بولاق .

مكتبتنا العربية

... نشأ لاختلافهم في الأصول التي يرجع إليه كل من الطائفتين في الفقه ، ولكل ... [1]

٢ — ... هذه الفترة ... أطول أدوار الفقه عمراً ، وهو دور النمو والكمال . وقد بدأ ... أوائل القرن الثاني واستمر إلى منتصف الرابع ، وفيه ... وفيه ظهرت المذاهب الكبرى التي لا تزال بحمد الله مسيرة ومتبعة في العالم الإسلامي إلى اليوم . نعني مذاهب : أبي حنيفة ومالك والشافعي ... رضوان الله عليهم أجمعين . وهذا الدور من حياة الفقه خصائصه التي تميزه عن الأدوار الأخرى ، وهي :

(أ) قيام الدولة العباسية ... يعتبر حدثاً ملحوظاً في حياة الفقه والتشريع . لأنها ... يكون لرجالها رعاية ملحوظة بالحياة الدينية عامة ، ... والفقهاء خاصة ... كان من همهم أن تقوم الدولة على قانون مستمد من ... الإسلامي .

... مظاهر العناية السياسية بالفقه والفقهاء في هذه المرحلة . ما نعرفه من إجلال الخلفاء ... لرسالة الفقه . وفي هذا ... الإمام مالك بن أنس يوجه للرشيد رسالة قوية ، يذكره ... ما يجب عليه نحو الرعية . فما نجد هذا الخليفة يرسل إليه ابنيه الأمين والمأمون ... به بالمسجد حديث رسول ... مع عامة المسلمين [2] .

... ذلك أيضاً . فهذا ... يطلب من الإمام أبي يوسف أن يضع له كتاباً يستهدي به في إدارة الدولة ... الكتاب له ، كتاب الخراج ، المعروف ، وفي مقدمة هذا الكتاب يقول لأقوى سلطان في عصره : ... فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ... ولا تزغ ... رعيتك ، وإياك والأثرة ... والأخذ بالغضب [3] ، إلى آخر ما قال .

... إذاً ، أن يجد الفقه في هذه الفترة التربة الطيبة من حياته ، تربة صالحة للنمو والكمال ، ... من ذلك نشر سنة الرسول ... وظهور كبار المجامع فيها ، وكثرة ما زخرت به كتب

... راجع أعلام الموقعين ... من طبعة منير ، فقد صور ابن القيم النزاع بين هاتين المدرستين ... وأورد صحيح القولين وكشف عن مواضع الخلاف .

... مفتاح السعادة ، جـ ٢ ...

(٣) كتاب الخراج ، ص ... من طبعة بولاق .

مكتبتنا العربية

الفقه من الأحكام والتفريعات العملية ، وتدوين ذلك [illegible] أنفسهم وكبار أصحابهم وتلاميذهم .

(ب) قوة الحركة العلمية واشتدادها لعوامل [illegible] العلوم والفلسفة اليونانية للعربية ، فضلا عما نقل من [illegible] ما نقل للعربية ، منطق أرسطو ، والمنطق [illegible] بطرق القياس .

(ج) وقد كان من كثرة الحديث عن الرسول [illegible] طائفة حمقاء رفضت السنة جميعها ، أى رفضت الاحتجاج [illegible] في القرآن غنية عنها ، ما دام قد نزل « تبياناً لكل [illegible] هذه الطائفة وما تحتج به لما ذهبت إليه [illegible] في كلام قيم يجب الرجوع إليه (١) .

على أن هذا الرأى البين بطلانه ، كان لا بد أن [illegible] يرون بحق أن السنة أصل أصيل للفقه بعد القرآن [illegible] لم تكن لبيان ما نزل إليه من الكتاب ، وبخاصة وقد [illegible] الحديث أنفسهم بالفحص عن الأحاديث وبيان صحيحها [illegible] في جوامع هي مراجع أساسية للمسلمين جميعاً في الفقه [illegible]

كل هذه الخصائص جعلت هذا الدور هو دور [illegible] المذاهب المعروفة وتأليف الكتب القيمة في الفقه [illegible] القيام على المذاهب المعروفة وتقليد أصحابها ، وهو دور [illegible] منه في أيامه الأولى ـ مع ذلك ـ ثروة فقهية كبيرة يعتمد [illegible]

الحديث موصول

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة

(١) كتاب الأم ، الطبعة الأولى الأميرية ، ج ٧ : [illegible]

مكتبتنا العربية

البهائية والبهائيون - ثم جماعة التقريب

... لأزهر عن حكم الإسلام فى البهائية ، بناء على ماقدم إليها ... شأن هذا المذهب ، وكان ذلك أفصح فضيلة مفتى مصر - الشيخ حسنين مخلوف - عن الحكم ... البكتاشية ... على ما استند إليه من التاريخ ومن الشريعة . وقد التقت الفتويان ... الطائفتين ... غاية ... عرف من لم يكن يعرف ، أنهما على غير الحق الصراح ، ... بهما فى ... - كما نمى إلى لجنة الفتوى - قائمة على نسخ الأديان ... السماوية السالفة كلها ، ثم هى عائدة بعد ذلك بين القول حينا بألوهية زعيمها الأول ، ... حينا آخر بنبوة زعيمها الخلف .

... سبيلها فى العودة إلى مذهبها المتأرجح ، لاتخلو غالبا من الإباحة لامور محظورة ، ... من الكاليف مقطوع بفرضها ، ونبذ القيود الكابحة عن الغواية .

ثم هو تسمى ذلك الباطل ... وتكسوه بهذه التسمية ثوبا رياثيا تخادع به البسطاء ، ... الرياء يتنمر ... فإذا انكشف أمرهم سارعوا إلى القول بأنهم مؤمنون بكل شىء ... به الأديان ، غير أن ... الفيض الإلهى لا يزال مفتوحا .

... ما قرأنا من ذلك ... تكرتيرجهم فى أعرام ٥ من نوفمبر الحالى سنة ١٩٥٢ ... لجنة الفتوى باللجنة ... فضيلة المفتى .

... الرد مهما كان ... فإنه لا ينفيهم عما تهربوا منه ، إذ هم لايرضون بالإسلام ، ... محمدا - ﷺ - خاتم النبيين .

... على ضلالهم ... باب الفيض ، الوحى ، لا يزال مفتوحا ، وأن النبوة ... أن كانت ألوهية ... زعيمهم البهاء . وهكذا من خلطهم المصطنع . وفى ... الكفر ... ثم ... بغاشهم فى الكفر . وإن تصلوا بالمحاولات ...

... من أتباع الفاطميين ، الذين ينتمون إلى الإسلام . غير ... الأولى من عهد على وخلافه مع معاوية ، رضى الله ... كان ... منها خصوم الإسلام الذين غاظهم أن تكون له تلك ... ، ولم يجدوا وسيلة إلى النيل من قوته أقرب إليهم من التظاهر بالتفانى ... ، وفى التشيع لآل البيت ... على خاصة .

مكتبتنا العربية

وسواء أكان التشيع فى أصله غيرة صادقة على بيت النبوة ... فقد استتر به من يعنيهم اقتلاع شجرة النبوة من أصلها ... أبواب الفتنة ، وأن يشقوا وحدة المسلمين فى ألوان ... فى استدعابه وبيان خطره أهل الذكر من المؤمنين والعقلاء.

ومهما يكن من تقدير الشيعة للتاريخ فى قصصه ... دينيا خاصا بين جمهرة المسلمين ، وأن لهم مسالك متباينة ... مجتهد فى فهم واستدلال ، ومحاولة للوصول ... كل يقف متعصب مسرف مع متعصب مسرف ... أن وحدته المنهم من الله المشمول بالعناية ... اختاره ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

ونحن نعلم أن الدين يدعو إلى الوحدة ، ويحرم ... الإسلامية ، وينصح بأن شخصية الأمة لا تقوم ... والتأخي ، وعلى الرجوع والخضوع للقرآن والسنة ... ويفسح للعقول مجال الفكر المتزن ، والاستنباط ... ولا تسخير للقرآن ، وإخضاعه للنزعات ، وإتباعه ... فى التكتل ، والتضامن مع أهل الكتاب ، والتعاون ... بهم فى المعاهدات ، والأنساب ، متى كانت ... بالفضائل الإسلامية .

ومن ذلك - وهو جوهر النظام الإسلامى ... الجماعة . وكل داع إلى نحلة تباين الأصل ولو قليلا ... منتقضا على الدين فى أساسه ، ونابذا لتوجيهاته ... يأخذ بها فى تبرير الجيازه .

ولئن كانت هناك طوائف بين هاتيك الطوائف ... العصبية المسرفة ، فذلك على أى حال تصدع فى صرح الإسلام ... مستمدة من طبيعته وتعاليمه ، ونقاوته من الزيف ... لعصفت به تلك المنازعة بين الطوائف المنتمية إليه

ولكن ، مع أن دعوة السوء توطنت بين صفوف ...

مكتبتنا العربية

في [illegible] فيها ، وبين أن [illegible] مصر ما سافرين يقاومونه ، ويدفعونه ما استطاعوا ، ظل [illegible] يحتمل المتاعب [illegible] ويحتمل مدافعة المقاومين له ، لأن له مدداً من [illegible] ، ولأن في [illegible] عظمى تعتز بصلابتها في الحق ، وتنحيها عن التشقق ، [illegible] على صراطه المستقيم ، وقوتها هذا المورد العذب : من الكتاب والسنة ، والمأثور عن [illegible] من أصحاب [illegible] ومعهم من الأئمة المعتدلين ، وذلك سبيل المؤمنين ، وسيظل [illegible] شأنهم مادام الحق [illegible] في رعاية الله ، ومهما دام الباطل زهوقا وإن تطاول زمنه .

[illegible] لا نشكو [illegible] الفرض ، ولا ننفخ في بوق الفتنة ، ولا نتحكم في جماعة [illegible] ، ولا نتحكم في جماعة [illegible] ، ولكنا نميل بفيء الجنوح إلى تزعيم زعيم ، والتمذهب له بمذهب [illegible] ، ولا نرضى بالتشاغل عن [illegible] الأول في التشريع الإسلامي ، والتفرغ للأشخاص [illegible] أئمة ، ونخلع [illegible] كل باطل ، حتى ندعم تلك الدعاوى المكذوبة بما [illegible] من الطرق [illegible] ولا من الطرق المعقولة ، ولكنها العصبية المألوفة [illegible] ، ولكنها دعوى [illegible] أشياعا لتلك الخلافات [illegible] فهوم الأول [illegible] ما طرب له قديماً الحانقون على الإسلام [illegible] .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[illegible] هذا ، ولدينا اليوم في [illegible] مظهر لذلك : «جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية» ، [illegible] من هذه الجماعة شيخ شيوخ ، من النجف ، يقيم في مصر لعهد قريب أو بعيد ، [illegible] لدعوة [illegible] ، وبالات مصر ، ولم يكن يسع مسلماً أن يتخلف عن تلبية [illegible] وسعة الصدر التي [illegible] بها القرآن أول ما هتف : «واعتصموا بحبل الله [illegible] ولا تفرقوا ، [illegible] الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء» .

[illegible] هذه الدعوة ، وهذه المضوية المتواضعة بين أولئك الأمجاد ، فماذا أجدت [illegible] ، وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟؟

[illegible] في صدر مهمتها [illegible] الجماعات ، فرة : للتعارف ، واختيار الرئيس ، [illegible] ، والسكرتير ، [illegible] ثانية : لاستقبال ضيف شرقي مسلم سيزور دارنا ، دار [illegible] ، وثالثة : استماع رسائل [illegible] من جهات إسلامية ، ومن بينها رسالة من النجف [illegible] مركز الشيعة [illegible] تلقى هناك في الذكرى الموسمية للإمام الحسين بن علي [illegible] عنهما ، ثم يقترح علينا في هذه الجلسة أن تطالب الجماعة إلى الأزهر تدريس الفقه

مكتبتنا العربية

الشيعي إلى جانب مذاهب أهل السنة ، ويتوارى [illegible] همس بذلك من همس .

وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت [illegible] وتسميها (رسالة الإسلام) .

وتعنى رسالة الإسلام هذه بنشر مقالات لأهل [illegible] وتلقينهم بيننا ، ولم يكن يتاح لهم ذلك لو لم تكن [illegible] وأنصار ينتفعون .

وكان بودنا أن نصدق النية ، ونسلم الوسائل من [illegible] الذي هرعنا إلى العمل على تحقيقه ، ولكن تبين من [illegible] النجف في مواسمها ، وفي الجنوح إلى مذهبها ، دون أن [illegible] الغرض الذي زعموا ، بل ظهر أن التقريب في [illegible] أوسع مما فهمنا ، حتى أصبح تقريبا بين الإسلام نفسه [illegible] الفوارق ، والتسوية بين الجميع في الحكم ، [illegible] يوما ما ، من عهد قريب) .

رابنى هذا التلاعب في استغلال جماعة التقريب [illegible] بها ، وباقياً فيها ، ورابنى - ويجب أن يرتاب [illegible] دون أن نعرف لها مورداً من المال ، ودون أن [illegible] أنيقة ، بالزمالك في القاهرة فيها أثاث فاخر ، وفيها [illegible] القائمين عليها ، وتكافىء الكاتبين فيها ، وتتأنق في طبع [illegible] ذلك نما يحتاج إلى مورد فياض . . فمن أين ذلك [illegible]

ثم هل صحيح أن علماء النجف مستعدون [illegible] أو يحقق شيء من التقريب ؟ ؟

هل يمكنهم أن يحيدوا عن القول بأن لهم أئمة معصومين [illegible] هم وحدهم المهديون ، ومن بينهم الإمام المنتظر [illegible] وهل هؤلاء الأئمة : من ظهر منهم ، ومن اختفى [illegible] يكونوا أنبياء ؟ ؟ .

مكتبتنا العربية

وهل تؤخذ أدلة [illegible] نقلا عن صحته واعتباره من أصول الدين ؟ وهل يتابع المتهمة قابل التفاهم معهم ، أو الجدال أو بطلانه وهم يستطيبونه وإن خالفوا . وهل سب المسيحية والتشكر لأعيادها الصحاة أمر يرتضيه أدب الإسلام . وتسمح به تعاليم [illegible] ويتفق مع [illegible] من التنويه بفضلهم ؟ ؟ أمور ليست جديدة . [illegible] فيها ليس مستحدثا ، والأمل فى تصحيحها لا مطمع فيه ، ولكن كلفت نفسى [illegible] ، وكلفت [illegible] وقفا من جماعة التقريب فيما هى توهمنا بالعمل [illegible] خطاعا إلى الأخذ بها ، أو على الأقل هى تقود [illegible] إلى سيرة واضحة [illegible] من طرق العلم الصحيحة ، وبين مايقررون لجماعة [illegible] أحكام مختلفة : فى جهات متعددة .

[illegible] ؟ ؟

[illegible] الأزهر من أن [illegible] للتشيع . وأبت مصر من قديم أن تكون [illegible] فيها الدين الإسلامى [illegible] والنحل المدخولة كالبكتاشية وما يشاكلها ، فما [illegible] إلى تركيز دعوات [illegible] على مقربة من الأزهر . وهو المهيمن على التوجيه [illegible] ؟

[illegible] الأثر ما أصبح للبكتاشية وأمثال البكتاشية [illegible] سائس مذهبية ، كما تتحرك دسائس البهائية فى ظل السكوت [illegible] فى شأنها [illegible] فى أطارف مصر بنشاط المركز البهائى بالقاهرة [illegible] فيها مضى أنها لم تكن طليقة اليد فى تدبير أمرها ، [illegible] ، ممن لا يتحرجون أن يعتنوا بدول أخرى ، فعليها أن تدرك اليوم ما فاتها بالأمس . ولتذكر مصر وعلماؤها أنها بلد القرآن حفظا ، ودراسة ، وصيانة ، وأنها بلد الأزهر ، فما يليق بها أن تسمح بهذه التفصيلات تترا كم حول هذا المصباح الوضاء .

ولا يسعنا مع ذلك إلا أن نقول : حرية العقيدة مصونة فى الدستور ، فإنما يعنى الدستور [illegible] لأهل الكتاب ، أما النزعات الهدامة الغريبة عنا ، [illegible] الضالة المضلة عن سواء السبيل من حساب الدين . فباطل كله ، ودستور مصر يجب ألا [illegible] الأباطيل ، وألا يتعرض للمبادئ

عبد اللطيف محمد السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

نظام الإسلام السياسي

تحت هـــذا العنوان كتب الأستاذ [illegible] مقالا [illegible] (رسالة الإسلام) التي تصدر عن دار التقريب بين [illegible] العدد الصادر في المحرم سنة ١٣٧٢ هـ أكتوبر سنة ١٩٥٢ [illegible] الكاتب بطول النفس وسعة الاطلاع . وقد [illegible] أن يوفق إلى حد ما بين نظريتين أشار إليهما في مقاله [illegible] لو تعمق في دراسة الإسلام لا تفق مع صاحبه ولم يختلف

فإحداهما : تقول : إن الإسلام رسالة لا حكم [illegible] الأستاذين علي عبد الرازق ، الإسلام وأصول الحكم [illegible]

والثانية : تقول : إن الاسلام نزع جميع السلطات [illegible]

وقال في التوفيق : إن الفريق الذي ينزع الحكم عن [illegible] المسلمون من ركود وانحلال وفساد الحال ، فظن [illegible] الدين والسياسة ، فنصب نفسه محاربا لهذا النوع [illegible]

وأما الفريق الذي يرى أن الاسلام دين الحكم ، [illegible] فإنه نظر إلى ما فيه المسلمون من الضعف وفقد الثقة بالنفس [illegible] مهما كان متعارضا مع نظام الإسلام . فيقولون إن الإسلام [illegible] فأراد أن يكافح هذه النزعة من الاستخذاء ، وقام يدرس [illegible]

وقد تحامل على هذا الفريق ، وهو على الحق [illegible] الإسلام ، لا نتيجة دراسة سطحية . فالاسلام [illegible] على جميعها . لم يترك شيئا إلا بينه تفصيلا أو إجمالا [illegible] ضوء قواعده لا يخرج عنها عمل ما ولا يشذ عن أحكامه [illegible] على هذا الرأي بأن رمى أصحابه بأنهم ظنوا أن [illegible] من أجانب تقيها شر التعديل والتحوير . وكان في غنى عن [illegible] قلة تقديره الإسلام . ولقد ردد معناها وبعض ألفاظها في [illegible]

مكتبتنا العربية

... القارئ الكريم بعد أن أشير إلى ما تضمنه المقال بعد ... أكون قد أجلت فى سمعه وغثه ... تكون الحسنات ماحية للسيئات فى الحق أن سيئات هذا المقال أنظع من أن تغطى على ... حسنة . والله نسأله التوفيق والهداية .

قام الأستاذ بعد ذلك بعرض موجز كما يقول للنظرية السياسية فى الإسلام فى خطوطها الرئيسية ووزعها على مباحث أربعة :

(١) هل الإسلام نظام سياسى ؟

(٢) ما مصدر السلطة السياسية فى الإسلام ؟

(٣) هل يربط الإسلام بين الدين والسياسة ؟

(٤) إلى أى مدى يربط الإسلام بين الدين والدولة ؟

وأمعن فى البحث الأول تدليلا واستنتاجا ولطف مذهب وصحة رأى ، واستطيع ... تصور فكرته فى فقرتين من قولين فى هذا البحث :

الأول قوله : ... هذا أستطيع أن أقرر بكثير من العزة والثقة ... الإسلام دولة ، وأن الإسلام نظام سياسية واضحة المعالم هى نظرية الحكم الدستورى النيابى القائم على مبدأ الترشيح والانتخاب وحق المعارضة .

والثانية قوله : ... ذلك للقول بأنه قد ثبت ثبوتاً قطعيا أن الإسلام نظرية ... واضحة المعالم ، هى الحكم الشورى المنطوى على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق ... وقد عرفها ... وطبقوها فى صدر دولتهم تنفيذا للقاعدة الدستورية الواردة ... الكريم ... الشورى ، وأمرهم شورى بينهم » .

... فى ... مصدر السلطة هو القانون الإسلامى وقال : إنه لا يعرف ... نصا أو عرفا على إطلاق لفظ القانون ... الكتاب والسنة من الخلفاء والملوك والأمراء والولاة ... الحكم فى كافة أنحاء المملكة ... ولكنه كانت تجرى مخالفات وهذه المخالفات ... يمكن أن تبطل عمل الدستور . وقال قبل الفراغ من هذا البحث :

فلم يبق واضحا ... إلا أن نقرر أن حكم القاعدة الدستورية المكتوبة ، وأمرهم شورى بينهم ، ما يزال مستمرا ... ثم أخذ بعد ذلك يبين طريق الشورى ويحاول أن يناضل ... وهى لا تحتمل شيئا من ذلك . فجاهد فى غير عدو ، وزلت به قدمه كما سأبين لك .

مكتبتنا العربية

فالفكرة فى ذاتها سليمة ولكنه تطرق فاستطرد إلى غير [illegible] ولكنه كان حشوا مفسدا ، ورأيا فائلا ، ومذهبا هائلا

وفى البحث الثالث ، يرى ان الإسلام يربط بين [illegible] إن مفهوم الإسلام فى جوهره تحقيق قوله تعالى : [illegible] الأخلاق ، وإن السياسة يجب أن تخضع لإطار [illegible] القيم والعدوان .

وقال : إن الدين إذن عبارة عن العنصر الأخلاقى [illegible] مرافق الحياة ، وهو ما عبرت عنه الكلمة المأثورة : [illegible] من زايا الإسلام فى ذلك المقام وفضله على سائر الأديان [illegible]

وفى البحث الرابع قال : إن الجانب الأخلاقى فى [illegible] الإنسانى تحت مراقبة الله وحده ، وجميع العبادات فى الإسلام [illegible]

وخلص من ذلك إلى أن ربط الإسلام بين [illegible] وعاد يناقش النظريتين السابقتين باطلاقهما ويدلل لذلك [illegible] إلى أن للاسلام نظرية سياسية هى أرقى أشكال [illegible] أساس تأسيس حكومة دينية ، بل على أساس ربط [illegible]

وهذا الكلام يحتمل المناقشة ولكنه قد [illegible] نهاية البحث الثانى وهو بصدد تحديد الحكم الشورى [illegible] ما يزعم من خلاف عليها .

ولى القارىء الكريم العبارة ثم المناقشة . قال :

« وتبعاً لهذه القاعدة المكتوبة فإن مصدر السلطة [illegible] يمتلكها المسلمون بمحض اختيارهم من أهل المشورة [illegible] والسلطان بنص الدستور . أما القول بأن شريعة الإسلام [illegible] كغيرها من الشرائع السماوية فأعتقد أن هذا القول لا [illegible] قد قال بقاعدة النسخ (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت [illegible] أحد أن هذه الآية قد انتهى حكمها بوفاة الرسول عليه السلام [illegible] بعضهم . كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الأمة [illegible]

مكتبتنا العربية

... أن كان الله ... ثم صار التشريع إلى الأمة انتهاء . لأن الله سبحانه ... (وأمرهم شورى بينهم) .

... ولا يقوم عليه برهان . فهو يرى أن قاعدة الشورى ... جمعية تشريعية إلخ - وليت شعرى متى كان هذا ... ومن قال إن ... شورى لا يكون إلا على هذا؟ وهل جهل المسلمون ... ما أزل بلا تحريف ولا تزيد ؟ لقد سارت السلطة ... المسلمون فيها ذلك ، وإنما كان الدستور كما ذكره ... أمير من الامراء جمع أقرب الناس من أهل ... منهم يرى الرأى فيرد عليه ، فإن وجد الدليل ... حين أراد أن يبطل التغالى فى المهور فاحتجت ... فقال ، فرجع عما قال ، ... وإن لم يجد الدليل المقنع فلا يرجع كما ... أن يرده فلم يستطع ، لأن ذلك شىء كان فى ...

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

... ذكرها نظام مدنى غربى ، فنحن نريد أن نلزم الناس ... الله سبحانه أمر بالشورى . ولكن الشورى شىء ... لا تكون إلا فيما أشكل ولم يكن فيه نص من كتاب ... ولكنه يقع فيما أنكر على الناس من التعلق بكل نظام ...

... أن شريعة الإسلام تقبل التعديل بخلاف غيرها ... وهذا ... بين . فإن شريعة الإسلام عامة لكل زمان ومكان ... الأرض ومن عليها ، لا تبديل لكلمات الله ذلك الدين ... أحكام الشريعة من كل ما يتعلق بشئون الناس من أولها الى آخرها خاصها ... فيها نص طرأ فى الأمة الإسلامية لا يجرؤ أحد على أن يخالف شيئاً منها إلا إذا كان ... مضمحلاً وشاذاً ... فكل ما فيها دستور مطرد فى كل مكان ، وممتد الى آخر

مكتبتنا العربية

الزمان . فأحكام الولايات وجميع السياسات فى داخل البلاد [illegible] وأنزل . فإن وقع شيء لم ينص عليه أو جزئية [illegible] من المسلمين ليستنبطوا لها حكما من الأدلة [illegible] والإجماع ، والقياس .

فالجهاد فريضة قائمة بقيوده الشرعية لا يجوز التكوص [illegible] بوجوبه . وحماية البلاد الإسلامية واجبة شرعاً ولا يجوز [illegible] ولا تعطيل .

والزنا حرام ، والربا حرام ، والخمر حرام . [illegible] ورسوله بلا تغيير ولا تبديل فى شيء من ذلك .

ولو جاز التعديل ، لصح القول بحل الزنا أحياناً [illegible] فيه بلادنا وغيرها على خلاف أحكام المسلمين .

لو جاز التعديل لأبيح شرب الخمر إذا رأته الجمعية [illegible] ولكان لها أن تغير فى نظام النكاح والطلاق والإرث [illegible] بشـــعة منتفية ، والقـول بها إلحاد خارج عن [illegible] الضـــلال .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يا هذا قد أكمل الله الدين بما شرع من شرائع [illegible] وبما سن من قواعد محكمة ، لايشذ عنها شيء من الوقائع أبداً . [illegible] ويستنبطوا من أدلة الشرع أحكام جميع الوقائع كما [illegible] الحكم بغير ما أنزل الله ، ومن لم يحكم بما أنزل الله [illegible] والفاسقون بنص الكتاب الكريم .

فمن أين يقع التعديل والتغيير كما زعمت ؟ إن الذي [illegible] الدين الحق ، وإنما هى فيما أشكل أمره ، واختلف [illegible] على أخرى ، وتزيد الحاكم معرفة بجمع الأدلة ، والتدبير بالعلم [illegible] ولا يقبل فيها قول بغير برهان صحيح ، ودين متبع . [illegible] ، فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم [illegible] خير وأحسن تأويلا » .

مكتبتنا العربية

سريعة الإسلام [illegible] السبيل ! لقد كبرت كلمة تخرج من فم قائلها . [illegible] إلا كلمة [illegible] التصديق لشيء المآل الجائر . وأحكام الإسلام [illegible] إلا كانت قواماً وقصداً ونصفة [illegible] ورحمة ، ولا [illegible] مسالك الحياة بأمة فرجعت إلى ميزانها [illegible] وسلمت . وقد [illegible] المسلمون الأولون في آفاق الأرض يطبقوها في كل بقعة [illegible] فيها في كل أمة [illegible] دعاية وحببوها إلى الناس فدخلوا في دين الله أفواجاً . لأن الله سبحانه قد جعل فيها من السعة والقوة والنصفة والرحمة ما يكفل لها [illegible] .

يجب أن يعلم الناس أن [illegible] هو الدين ، وأن أحكامه الآن في السياسة وفي غير السياسة [illegible] على عهد محمد وأصحابه ، وأن يلتزموا قول الصادق المصدوق محمد ﷺ : افترقت اليهود والنصارى إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال التي على ما أنا عليه وأصحابي ، فمن [illegible] في دين الله ، ومهما [illegible] بعده تعديلاً ، ومن غير أو بدل ، فقد خالف ما كان عليه محمد وأصحابه ، وقد [illegible] الرسول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، فحسبه جهنم وساءت مصيراً .

يجب أن يعلم الناس أن لا حاكم إلا الله فيما أجمع عليه المسلمون . فإن من قال من الفرق [illegible] للعقل حكماً فسره بأنه يستطيع أن يدرك الحكم فيما لا نص فيه بحسب ما فيه من مصلحة [illegible] ، لأن أحكام الشرع معللة بالمصالح ودفع المفاسد .

ويقال إن من قال بالقياس من المسلمين منع القياس وهو دليل شرعي عند وجود النص ، [illegible] على أنه لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير في أحكام الله .

ولكن علماء الغرب [illegible] الدين . يتأقلم » ، فصرنا نقول كما يقولون ، ونحتال للاستدلال لذلك من كلام الله وكلام رسوله . والمسلمون جميعاً منذ بعث محمد ﷺ يشددون النكير على من يخالف شيئاً من الكتاب أو السنة ، ويحاسبون أهل البدع والاختراعات ، ويحاشون الوقوع في بعض المستحدثات ، ولا سيما بعد أن حذر من ذلك سيد المسلمين بقوله : « من يعش منكم فسيرى اختلافاً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي : عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،

مكتبتنا العربية

وكل ضلالة فى النار » . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وبعد - فهذا قول كان جديراً بعدم الرد عليه لمخالفته [illegible] ولكن لما كان فى المقال وجاهة فى بعض البحث ، وخلابة [illegible] يضل القارىء عن سبيل الله فيظن أن شريعة الإسلام كما يريد [illegible] التغيير ومسايرة المدنية والفناء فى مقتضياتها الباطلة [illegible] والاختلاط ونكاح (الكونتراتو) وحظر الطلاق [illegible] المسلمون فيفقدوا البقية الباقية من هذا الدين .

ثم انظر إلى ما استدل به الكاتب على جواز [illegible]

إنه يستدل على ذلك بأن فى الشريعة الإسلامية [illegible] ويخبط خبط العشواء . نعم إن فى الشريعة الإسلامية [illegible] إلى جمعية تشريعية كما تزعم ، إنه لا ينسخ أحكام الله إلا [illegible] الحديث قطعى الدلالة كالقرآن الكريم . وهل تقول [illegible] الله سبحانه يقول « ما ننسخ من آية » ولا يقول [illegible] عما تقول !!

هذا مبلغك من العلم على الاستدلال للجمعيات التشريعية [illegible] له خبىء ، إلا أن يكون قضاء على العقل فى ساعات عنده !

أما نحن فنقول إن الجمعيات التشريعية جائزة [illegible] سقناها وبدلالة العمل المطرد فى الصحابة والتابعين ، [illegible] والعقل السليم ، فما ندم من استشار كلما التبس أمر أو [illegible] التبس وعند عدم وجود النص .

أما أن تستدل على ذلك بصحة النسخ ، وتسوق الآيات [illegible] بها التغيير فى أحكام الله ، فذلك إلحاد فى آيات الله [illegible]

لقد نص علماء الأصول على أن الإجماع نفسه (وهو [illegible] من حقه أن ينسخ ، لأنه لا يكون إلا بعد انقراض [illegible]

مكتبتنا العربية

ثم ماذا ؟ ثم يتمادى الكاتب فى باطله فيزعم أن هذه الآية لم ينته حكمها بوفاة الرسول ! ويجعل ذلك توهما ! ويصفه بأنه يتبادر إلى بعض الأذهان ! وهو الحق كما علمت ، فإن الناسخ هو الله ، ولا نسخ أبدا بعد رسول الله ، وإلا ذهب الدين وعاد الناس كما كانوا فى جاهليتهم قبل مدنية مهذبة كما تعلم بها الجاهلون ، ولا علم رادع كما نشاهد فى أحوال العلم والمدنية من الضلال والعدوان .

ولقد تمادى فى تعاميه عن الحق ، وران على قلبه ما اجترأ على الله والدين والعلم ، فعزز حكم الجاهليات على آيات الله ، ونسخها لكتاب الله ، واطراد ذلك النسخ بأن القرآن نص على أن الأمة ومجلسها مصدر السلطات . وليت شعرى أين هذا النص ؟

ويزعم أن الحكم كان فى إبتداء ثم صار إلى الأمة انتهاء . وكل ما يستدل به على ذلك (وأمرهم شورى بينهم) راجع إلى الإخلاص فى الحجة ، ومنطق التزوير والمكابرة هل آية الشورى هى التى فعلت هذا كله حتى صار الحكم لا بد أن يكون بجمعية تشريعية . وجعلت النسخ جائزا واجبا بأقوال الرجال ، وأبت أن يكون الحكم للأمة وحدها لا لله انتهاء ؟ !

اللهم إنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . اللهم أنقذ أفكار هذه الأمة من سموم الإلحاد ، وثبتها بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، رب العالمين

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

من أمثال العرب

- ... يجلاه .
- ... يوكل بالمنطق .
- ... شر منه .
- ... ذل .

مكتبتنا العربية

السنة

الحب الإلهي

منزلته - وسيلته وأسبابه - ... - ...
أولى الناس بالمحبة - ثمرة الحب الإلهي ...

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ... إن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل . فينادي ... أهل السماء إن الله ... فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء . ثم يوضع له القبول في الأ...

****

محبة الله لعبده وما يتبعها من ولاية الله ونصره ، ... ومسالمته لمن سالمه ، وإكرامه لمن أكرمه ، ومن إعزاز ... به في حياته ، وتبكيان عليه عند موته ؛ هذه ... منزلة ما أجلها ! حقيقة بأن يتنافس فيها المتنافسون ، ويتسابق إليها المتسابقون ، ... المخلصين والأبرار المقربين : إذ كانت هي الغاية القصوى ... من الدرجات ، لا جرم أنها حرام على أرباب الكلام ... لأولي العلم والنهى ، والتعمل والخشية ، من الذين ... ولايته ، فاجتباهم ربهم ، واصطفاهم لمحبته ، واختصهم ... ذو الفضل العظيم ،

غير أنه - سبحانه - وإن اختص برحمته من يشاء من عباده ... أوحى إلى رسوله الصادق الأمين ، أن لهذه الدرجة الرفيعة ... تدل عليها ، ووسائل تهدى إليها ، وأمارات ترشد إلى ...

(*) غير أن مسلماً انفرد بذكر الشطر المقابل وهو ... يبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا ...

مكتبتنا العربية

... وقد أمرنا الله أن نأخذ بالأسباب والوسائل لما قضى - وله الحجة البالغة - من الربط الإلهى الدائم بين الأسباب ومسبباتها ، والوسائل وغاياتها . . فمن طمع فى حب الله له ورضوانه عليه دون أن يأخذ فى أسباب هذه المحبة ويسلك سبلها ، فهو إما مخدوع جاهل ، أو مبطل عبث يريد أن يلعب بعقله ، ويفسد فطرته ، ويبدل سنة الله فى خلقه وشرعه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

****

وأساس حب الله لعبده ، ومحبة العبد لربه ، هو حب العبد لربه وإخلاصه له ، وعلى قدر حب العبد وإخلاصه ، يكون حب الله له ، ومعونته ، وتوفيقه وهدايته . ولا يزال العبد يتدرج فى الإخلاص والمحبة ، حتى يكون ربانياً : لا ينام ولا يقوم ، ولا يحب ولا يبغض ، ولا يفعل ولا يترك ، ولا يتحرك ولا يسكن ، إلا بالله ولله : يتقيه حق تقاته ، ويبلغ الجهد فى مرضاته ، ويتوكل عليه حق توكله ، فلا يخشى أحداً غيره ، ولا يرجو أحداً سواه . . وما أجدره حينئذ بمحبة الله له ، وقربه منه ، حتى يكون أقرب إليه من سمعه وبصره ، ويده ورجله ، وما ظنك بعبد أحبه مولاه ، فاكتفاه وتولاه ، ورضى عنه وأرضاه ؟ أليس مصداق ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه فيما يحكى عن ربه عز وجل ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى [1] لأعيذنه ،

هذا الحديث الربانى - أيها الأخ - بيان - طريق محبة العبد لربه ، ووسيلته إلى قربه ، وأجملها فى مثال أو صوره ، واجتناب محارمه ، والوقوف عند حدوده ، مع تقديم الأصول على الفروع ، والفرائض على النوافل . وقد قال العلماء الربانيون : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور . ومثل من يتقرب إلى الله بالنوافل مع إخلاله فى الفرائض ، مثل البستانى يأتمنه سيده على بستانه ، فيعمد إلى أشجاره فيسقيها ، ثم يجتنى منها بعض ثمارها . فيقدمها هدية إلى سيده . لا جرم أن سيده يرفض هديته ، ويزداد على عقوبة مولاه ومقته !

---

(١) وفى رواية : ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ أعذته .

مكتبتنا العربية

أما الذين يزعمون أن محبة الله أثر للعلاقة العلمية ... والـ ... ية بين العبد و ... ولا دخل للعمل فيها ، من الزنادقة والملاحدة و... من أتباع ... الفلسفة المادية والشفشيقة اللسانية ـ فلا خطاب لنا معهم ، إذ لا ... لأنهم قوم ركد ... وأغفلوا قلوبهم ، واتبعوا أهواءهم فعموا وصموا ... وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل ...

وقد ادعى محبة الله أقوام أقل من هؤلاء بمراحل ... وأعلن في كتابه العزيز تكذيبهم وبراءته منهم . فقال ... فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور ... فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين » . وقال ... « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم ... ثم قال جل شأنه في علامات أوليائه الصادقين ... رضوا عنه ، والذين يباهي بهم ملائكته ... خير العوض عمن ارتد عنه وجحده : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ... ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ...

هذه أربع علامات تضمنتها الآيتان الكريمتان ...

الأولى : ذلتهم للمؤمنين وخفض الجناح لهم ... أو الأخ على أخيه ، أو الطبيب على مريضه . فليست ... فيه تواضع وعطف . وقد أمر الله الآباء أن ... من الرحمة ، ووصف النبي ﷺ الكمّلة من أمته ... كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ...

الثانية : عزتهم على الكافرين وعدم الخضوع ... ولا يتخذون منهم بطانة وأنصاراً ، ولا يتشبهون بهم ... أو يضعف عزتهم وسلطانهم ، ولله العزة ولرسوله ... على المؤمنين سبيلا .

مكتبتنا العربية

وفي معنى هاتين العلامتين - وصف الله تعالى به أصحاب نبيه ﷺ فقال : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »

الثالثة : جهادهم بأنواع الجهاد كافة - بأنفسهم وأموالهم ، وأيديهم وألسنتهم ، لا يألون جهدا ولا يدخرون وسعا . وبأول ضروب الجهاد قام الإسلام، وبنى هذا الدين الحنيف ، وعم نور الله في الأرضين . وبإزائهم سبق السابقون ممن لا يبلغ المجتهدون منا مد أحدهم ولا نصيفه.

الرابعة : صلابتهم في الحق ومصدهم فيه ، لا يخافون لوم اللائمين ، وإن بلغوا من السلطان أو الجاه أمدا بعيدا ؛ لأنهم لا يعملون رغبة في جزاء من الناس أو ثناء ، أو رهبة من مكروه أو بلاء ، وإنما يخشون الله وحده . فيحقون الحق ويبطلون الباطل ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، رضي الناس أم كانوا ساخطين .

وتقتضي محبة الله سبحانه أن يحب العبد ما يحبه ربه ، ويبغض ما يبغضه ، من الأعمال والعباد جميعا . وتلك هي العلامة الجامعة للعلامات السابقة وما إليها ، مما هو مبثوث في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وما ألفته العقول ، وجرت عليه الفطر ، أن المحب يؤثر حبيبه على نفسه ، ثم يتحسس من كل ما يحب حبيبه فيحبه ، ومن كل ما يبغض فيبغضه ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وأولى الناس بالمحبة - بعد النبيين - الصديقون . صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، إذ أخرجنا من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، وأحيانا حياة أبدية روحية ، فوق حياتنا العابرة الجسمية ؛ ولذلك كان حبه ﷺ فرضا من فروض الواجبين ، بل كان ركنا من أركان الإيمان ودعامة من دعائمه ، وكان شكره وشكر ربه وإجابة نداله والصلاة والسلام عليه ، فوق شكر الوالدين اللذين أمر الله بشكرهما بعد شكره .

وتلي محبته - صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين - محبة أصحابه والتابعين لهم بإحسان . ومن أكثر حبهم إجلالهم وإحسان الظن بهم ، لحب الله ورسوله إياهم ، وثنائه عليهم ومغفرته لهم ، وحسبهم من دواعي الحب والإجلال ، أنهم شهدوا من النور ما لم نشهد ، ثم حدثونا ، ورووا من الكتاب والسنة ما لم نكن نعلم لولا أن علمونا ، وكان فضل الله عليهم بالسبق ثم عليا بالاتباع عظيما (*)

(*) بسطنا القول في فضل الصحابة رضوان الله عليهم ، في الجزأين الأول والثاني من المجلد السابع عشر ، ثم في كتابنا « دروس من القرآن » .

مكتبتنا العربية

إذا بلغ العبد هذه المرتبة العلية من محبة الله له ، على ما بينا الك آنفا ، من جعل القبول ومحبته له ، فبشره بما بشر الله به أولياءه من حب الملائكة والناس لهم ، ورضا الخلق بعد رضا الخالق عنهم ، إلى ما يمتعهم به سبحانه من غنى النفس ، وقرة العين ، وطيب الحياة ، بلذة المناجاة وحلاوة المناجاة ، مما لو علمه ملوك الدنيا لا شتروه بملكهم كما قالوا لنبينا عليه ...

ولا ينتقص من محبة الولى وهيبته ورضا الله والناس عنه ما يعرض له من أن يكون أو فاسق أو منافق ، فإنه لا وزن لهؤلاء فى حب ولا بغض ، وربما عاملهم بلاؤهم أو ابتلاء الرحمن فى زمان أو مكان : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن » .

تلك عاجلة بشرى العباد الصالحين فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فقد أعد الله لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

ولا ندع القلم قبل أن ينبه إجمالا - كعادته - على بعض ما فى هذه الآيات من لمحات ولطائف :

فمنها : فضل الروح الأمين ، والرسول الكريم ... على سائر الملائكة ...

ومنها : إثبات حب الله وبغضه ، ودعائه ونداءه ... على الوجه اللائق بجلاله وجماله ، نؤمن بها ، دون أن نتعمق فى ... الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكما آمن صحابته ...

ومنها : أن محبة الناس وقبولهم - ولاسيما الصالحين ... وكذلك بغضهم ونفورهم ، من علامات بغضه وسخطه ...

ومنها : وهو ألطفها وأوفاها وأدقها - أنه ليس لنا أن ... ولن تظفر بمحبته إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا ... لا ترضى منها بدلا ، ولا تبغى عنها حولا .

ثم نعود إلى ما كنا

مكتبتنا العربية

أصل الخلاف بين الأمة وبين الحزبية

مصر الآن في مفترق طرق، هل كل الحرية أن تبني مستقبلها على ضوء تجاربها في الماضي، لئلا تقع في الأخطاء التي وقعت فيها، وعلى ضوء هدى الإسلام ونور الإسلام.

إنها الآن بين أمرين: إما أن تبني حياتها السياسية على الحزبية والأحزاب، أو تبنيها على الاجتماع والوحدة.

وإن الواجب الذي تعيها أن تبنيها على الحزبية، كما بنيت عليها عند مبدأ حياتنا الدستورية، وقد قال المغفور له سعد زغلول (باشا): إنني أحمد الله إذ صارت لنا أحزاب كالأمم الديموقراطية في أوربا. ومن هنا نرى سعد زغلول (باشا) أنه كان يغتبط لأنه قد بذرت في نفسه بذور الفرقة والانقسام. وقد ظللنا طول هذه المدة نقاسي من التحاسد والتنافس، ما لا يزال ينتابنا إلى الآن.

إننا قد بلونا الحزبية في مصر، وبلونا نظام الأحزاب، فجنينا منها شراً مستطيراً.

إنها مزقت الأمة، وقطعتها شيعاً متباغضة، وشراذم متنافرة.

إنها جعلت بأسها بينها شديداً، وأصبح كل مشغولا بصاحبه، يكيد له ويتقي كيده.

إن الأحزاب قد فهموا الحكم النيابي فهماً خاطئاً: فهموا أن معناه أن يعامل المصريون معاملتين مختلفتين، فيولى مناصب الدولة من هم من حزب الحاكم ويقدم لهم خيراتها، ويحرم الآخرون مناصبها وخيراتها. وقد أدرك هذه الظاهرة أحمد شوقي رحمه الله فسجلها في قوله:

وليا الحكم حزباً بعد حزب ... فلم نك محسنين ولا كراما
جعلتما الحكم نيلة وعزلا ... ولم نعد الجزاء والانتقاما

والآن، بعد هذه التجربة الطويلة القاسية نريد أن نغلط الغلطة نفسها ونكرر التجربة، ونبني حياتنا السياسية على الحزبية.

مكتبتنا العربية

لقد كان من قبلنا أعذر منا ، فقد بنوا حياة الأمة على [illegible] ولم تكن قد سبقت لهم تجربة .

أما نحن فما عذرنا ، وقد لدغنا من الجحر مرة ، [illegible] منه مرتين ؟

إنهم كانوا أعذر منا ، فقد كان فيمن يوجهون [illegible] والانقسام ، ويخاف الوحدة والائتلاف ، وكان يخشى من [illegible] الأمة .

أما نحن فأقل منهم عذرا ، لأنه لم يبق فينا [illegible] الأمة ، وضرب بعضها ببعض .

إن أعجب لهذه الأمة تعرف وتنكر ، تعرف ما فى [illegible] لتلافيها ، ثم تنكر مافيها من أضرار فتغفلها . عرفت [illegible] الأمة فحذرته أشد الحذر ، ولا تفتأ توجد بينها وبينه [illegible]

وهى محمودة على ذلك كل الحمد ، ولكنها [illegible] وهى قريبة عهد بجروحها التى لم تندمل ، فتسعى جاهدة [illegible] ديمقراطية . باذلة فى ذلك كل الوسع .

إن الذى يدعونا إلى الاستمساك بالحزبية [illegible] من لوازمها : الحزبية .

ما ذا يمنع أن تنتخب الأمة نوابها وشيوخها [illegible] رئيس الدولة وزراءه ، فان حازوا ثقة مجلس النواب بقوا [illegible]

انكسب الحياة الدستورية ، ولتكن هناك مسئولية [illegible] أمام مجلس النواب ، وليكن ذلك حقيقة لا خيالا ، [illegible]

إن الأحزاب لا ترتجل ارتجالا ، إنما وليدة [illegible] فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية اختلف [illegible] حزبا . ومن هنا كانت الأحزاب ، أما نحن فقد خلقنا [illegible] لم تجد مبادىء تتحزب لها ، تحزبت للأشخاص .

اتركوا الأمة تدخل ميدان السياسة متحدة ، ولا تثيروا [illegible]

مكتبتنا العربية

جنبوها النظام الحزبي فهو لا يصلح لها ولا تصلح له ، إنها قريبة عهد بالخلافات الدينية ، وإن أخص خصائص الخلافات الدينية ، أن المخالف يعتقد العصمة في نفسه ، والخطأ والضلال في غيره ، وأنه على صواب وهدى يوشك المخالف أن يستنزله عنه . وذلك يستدعي البغض والحقد على المخالفين .

جنبوها النظام الحزبي ، فالنواب والشيوخ يفهمون الحزبية كما هي في القرية : ظلم واعتساف وكراهية وبغضاء ، وهم يطبقونها على الأحزاب السياسية .

جنبوها النظام الحزبي ، فقد جربته مدة ثلث قرن من الزمان فذاقت منه الأمرين ، وأخرّها عن ركب الحضارة زهاء خمسة قرون .

جنبوها النظام الحزبي ، فإن التاريخ ينبئنا أن الأمة الإسلامية لم تبلغ ما بلغته من العز والرفعة ، حتى ألغى الإسلام عصبيتها وحزبيتها ، وجعلها لا تتعصب إلا للإسلام .

فقد كانت الأمة العربية قبل الإسلام أمة قبلية يتعصب كل إلى قبيلته ، وكانت لذلك بأسها بينها شديد : تقوم الحرب بين القبيلة والقبيلة ، فتمكث الأعوام الطويلة حتى يهلك بعضها بعضا . وأدى هذا الانقسام في داخل الجزيرة العربية ، إلى ضعف أمام الأمم في خارجها فذلوا للأمم المجاورة ، وظلوا كذلك حتى جاء الإسلام فأبدلهم بهذه العصبية القبلية الضعيفة ، عصبية إسلامية عامة واسعة ، وحرم دعوة الجاهلية والعصبية القبلية ، وجعل المسلم أخا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . وأعلن أن كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه . وخاف أن ينزغ الشيطان بينهم فيعودوا إلى ما كانوا عليه ، فقال : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا » وقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » ، فإذا العرب أمة ذات عز ومنعة قد صارت كتلة واحدة ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير ـ هذا كله بفضل هذا الدواء .

ألا إن الله لم يمن على المسلمين بنعمة أعظم من نعمة تأليف القلوب بعد عداوتها ، ونعمة الإخوة الإسلامية بعد العصبية القبلية فقال : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

ألا إن الله بين لنا ما في الخلاف والانقسام من الضرر ، وحذرنا منه أشد التحذير ، وقرنه بالخسف والرجم فقال : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض »

ألا إنكم لو ربحتم كل شيء ، وخسرتم الوحدة ، فقد خسرتم كل شيء ، ولو خسرتم كل شيء ، وربحتم الوحدة ، فقد ربحتم كل شيء .

مكتبتنا العربية

أعمار زائفة

لفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر خطرات من الشعر تلوح له بين الفينة والفينة فى صور من المعانى المتألقة ، فيرسلها من نفسه على سجيتها : مكتفيا بما يعقبها من راحة وعبرة ورضا .

ومن ذلك قوله مدّ الله فى حياته ، وأدام النفع به :

نفد العمر وفى القلب ارتياعُ ... وارتجاع العمر ما لا يستطاع
طائرٌ هيض جناحاه فما ... دأبه إلا جثوم واضطجاع
مُرّ يا سائق بالسوق التى ... تُعرض الأعمار فيها وتباع
علّنى أبتاع عمراً أقعمت ... منه بالإحسان أعوامٌ وِساع (١)

* * *

قيل : هذا عمر مُثمر غمرت ... ساحه الفيحَ زروع ورِباع
قلت : عمرٌ ملؤه البرّ وكم ... سعدت فيه عراة وجياع !
فإذا الإمساك يوحى حوله : ... ما لهذا العمر فى الإحسان باع

* * *

قيل : هذا عمر والٍ كان إن ... أمَر الناس استكانوا وأطاعوا
قلت : عمرٌ كالسماء امتلأت ... بالنجوم الزهر يعلوها شعاع !
فإذا الإترافُ يوحى حوله : ... همٌّ هذا العمر لهوٌ ورتاع

* * *

قيل : هذا عمر حبر كان فى ... بيته كتب وفى الكف يراع
قلت : عمر كسحاب غيثه ... حكمة غراء أو فتوى تذاع !
فإذا الأهواء توحى حوله : ... حشوُ هذا العمر خبٌّ وابتداع (٢)

---

(١) جمع وسيع . (٢) الخب : الخداع .

مكتبتنا العربية

قيل : هذا عمر راع ورُضعت تحت رعياه عقول وطباع [١]
قلت : عمر يرتجى منه عُلا لبنى العلم ورشد واجتماع !
فإذا الخيبة توحى حوله : سرُّ هذا العمر زهوٌ وخداع

****

قيل : هذا عمر قاض يبصر الـ ـحق إذ يعلو دعاء ودفاع
قلت : عمر طالما زالت به إحنٌ بين خصوم ونزاع !
فإذا الرشوة توحى حوله : شأن هذا العمر حيف وطماع

****

قيل : هذا عمر أستاذ روى ورأى والعلم رأى وسماع
قلت : عمر مثل واد ممرع طاب فى مرعاه للناس انتجاع !
فإذا العى ينادى حوله : فات هذا العمر غوص واختراع

* * *

قيل : هذا عمر داع للتقى يأمر الناس وينهى فيطاع
قلت : عمر كله خير ولم يك فى أوقاته وقت مضاع !
فإذا الخسر ينادى حوله : فات ذا العمر امتثال وارتداع

* * *

قيل : هذا عمر مندوب لأن يشهد الشورى وآراء تشاع
قلت : عمر ينقذ الحق إذا هاجم الحق لصوص أو سباع !
فإذا العجز ينادى حوله فات هذا العمر نطق واستماع

* * *

قيل : هذا عمر ساع معول ضاق عن ترفيهه كف صناع [٢]
قلت : عمر حف بالعسر ومن يحمل الكَلّ كريم وشجاع [٣]
فإذا السخط ينادى حوله : فات هذا العمر صبر واقتناع

* * *

يا رفيقاً طالما أفصح لى عن خبايا ، فابجلى عنها القناع
لم لا يعرض فى السوق سوى عمر لم يرضه إلا الرعاع ؟
قال : جد الجد ما من عمر ناصع الطلعة فى الدنيا يباع

---

(١) الرعيا الحفظ . (٢) المعول : كثير العيال . والكف الصناع : الماهرة فيما تصنع .
(٣) الكل : العاجز عن العمل .

مكتبتنا العربية

تسامح أهل السنة

فى الرواية عمن يخالفونهم فى العقيدة

من سنة الإسلام أن يتسامح أهله فيما بينهم ، ثم فى معاملتهم ومعاشرتهم لغيرهم ، ما لم يخرج بهم التسامح إلى إبطال حق ، أو تعطيل حكم ، أو انحراف عن الخير .

وفى الفصل الذى عقدته للتعريف بتاريخ الأمم والملوك للطبرى المنشور فى الجزء الماضى من مجلة الأزهر (ص ٢١٤) أشرتُ إلى اتساع صدور أئمة السنة ـ من أمثال أبى جعفر الطبرى ـ لإيراد أخبار المخالفين ، وعددت ذلك من دلائل حريتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم فى تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما فى الباب .

وأحب الآن أن أتعمق فى إقامة الدليل على هذا التسامح ، فأضرب الأمثلة على سعة صدور أعلام هذه الأمة من أئمة الحديث النبوى فى روايتهم عن المخالفين لهم فى العقيدة . لأنى رأيت الكثيرين ممن يكتبون فى وصف الفرق والطوائف الإسلامية قد غلب عليهم الظن بأن رجال الحديث أشد فرق المسلمين وطوائفهم تعصبا فى الرواية ، وتحرُّزاً من المخالفين لهم ، ونفرة من التلقى عنهم . ولما كان هذا الظن لا يوافق ما كان واقعاً فى الحقيقة ـ لأن الأئمة الأعلام من أهل السنة كانوا فى مختلف العصور يعطون كل ذى حق حقه ، ويحترمون الصادق لصدقه والأمين لأمانته وإن انحرف عن جادة الصواب إلى شىء من الهوى فى بعض ما يتأوله ـ لذلك رأيت أن أشير فى هذا المقال إلى ما كان عليه أهل الحديث وأئمة السنة من الإنصاف والتسامح فى الرواية عمن يخالفونهم فى العقيدة ، إذا توفرت فيهم شروط العدالة والحفظ ، ولم يعرفوا بالدعوة لأهوائهم . وهذه المزية فى التسامح مع المخالفين لا نجد مثلها عند غير أهل السنة من سائر الفرق .

ونضرب المثل لذلك بجابر بن يزيد بن الحارث الجعفى الكوفى (المتوفى سنة ١٢٨) ، كان من أئمة الشيعة وعلمائهم ، وكان أعلام أهل السنة يعرفون ذلك فيه ولا يرون منه ما يخالف قواعدهم التى قرروها فى التعديل ووزنوا الرجال بموازينها ، فكانوا لذلك يعدّلونه ويثنون عليه . فلما شاعت ثقتهم به واطمأن هو لذلك ، برز لهم بما لا يعرفونه فى علمهم ،

مكتبتنا العربية

وادّعى أن عنده خمسين ألف حديث من غير الطرق التى توصل عندهم إلى الصدق والحق، وأخذ يذكر لهم بعضها، وحينئذ قال فيه سيد الفقهاء وإمام المحدثين أيوب بن أبى تميمة السختيانى (٦٦ - ١٣١): «الآن فهو كذاب». وكان الإمام عامر بن شراحيل الشعبى (١٩ - ١٠٣) قد توسم حقيقة جابر الجعفى وهو لا يزال فى شبابه، وتوقع له هذا المصير من قرائن وأمارات يدركها الناظرون بنور الله، فقال له: «يا جابر، لا تموت حتى تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم». قال إسماعيل بن أبى خالد البجلى (المتوفى سنة ١٤٦) وهو راوى هذه الكلمة عن الشعبى وكان من تلاميذه ومن أئمة ذلك العصر وأعلامه: فما مضت الأيام والليالى حتى اتهم جابر بالكذب. وروى عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل أن يحيى بن سعيد القطان (المتوفى سنة ١٩٨) ترك حديث جابر. وقال أبو يحيى الحمانى سمعت أبا حنيفة (٨٠ - ١٥٠) يقول: «ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء، ولا أكذب من جابر الجعفى: ما أتيته بشىء إلا جاءنى فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها». فالذى كان يعرفه الأئمة من تشيع جابر الجعفى لم يمنعهم من قبول أحاديثه قبل أن يظهروا له على الفضائح التى تجرح روايته وتوهن أحاديثه. ولم يكونوا يرون أن التشيع وحده كاف فى الجرح والترك ما دام صاحبه مظنة الصدق. حتى إذا افتضح عندهم كذبه حكموا عليه بما ظهر لهم منه، ووضعوه فى الموضع اللائق به.

وعدى بن ثابت[1] بن قيس بن الخطيم الأنصارى الظفرى الكوفى (المتوفى سنة ١١٦) كان عالم الشيعة وقاصهم وإمام مسجدهم. ويقول فيه المسعودى وهو شيعى أيضاً: «ما رأينا أحداً أقول بقول الشيعة من عدى بن ثابت[2]»، وقال عنه ابن معين «إنه شيعى مفرط»، وقال عنه الدارقطنى «رافضى غال». ومع ذلك وثقه الدارقطنى والإمام أحمد بن حنبل وأحمد العجلى والنسائى، لأنه - كما قال عنه أبو حاتم الرازى - «صدوق». ولصدقه استجازوا الرواية عنه مع ما يعلمونه من غلوه فى نحلته.

وكنت قد عقدت مقارنة - فى تعليق على الكتاب العاشر من (الإكليل فى أنساب همدان[3]) - نوهت فيها بسعة صدور أهل السنة - فى معرفة أقدار مخالفيهم، لمناسبة الكلام

---

(١) ويقال أن ثابتاً جده، وأنه عدى بن أبان بن ثابت.

(٢) ميزان الاعتدال ٢ : ١٩٣

(٣) ص ١٢٩ — ١٣١

مكتبتنا العربية

على الحسن بن صالح بن حى الهمدانى (١٠٠ — ١٦٨) وكان من أنصار العلويين فى ثوراتهم على بنى العباس ، وهو معدود من علماء الزيدية الصالحين الأولين ، وفى بيته توارى عيسى ابن زيد بن على بن الحسين منصرفه من وقعة باخمرى بعد مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فى ثورته على أبى جعفر المنصور ، وكان المفروض أن يكون رجال الجرح والتعديل من الشيعة فى كتبهم المتداولة أحسن رأياً فيه من رجالنا وأكرم معرفة لمكانته وقدره . ولكن الواقع عكس ذلك . وإنه لمما يوجب الفخر لنا أن رجال الجرح والتعديل من سلفنا أحسنوا الثناء على الحسن بن صالح بن حى فى أمانته وعلمه ، وفى عبادته وتقواه ، ولم تشفع له عند الشيعة الاثنى عشرية مشاركته لهم فى كل ما يشاركهم فيه الزيدية ، ولا سابقته فى مؤازرة الثوار من العلويين على الدولة العباسية ، فعده المامقانى فى (مقباس الهداية [١]) من أهل المذاهب الفاسدة ، وقال فى (تنقيح المقال [٢]) : « وقد ضعف الرجل فى (الوجيزة) وهو فى محله » . فانظر الى إنصاف علماء أهل السنة لهذا الزيدى العابد الصالح وتوثيقهم له ، وإلى تحامل الآخرين عليه مع أنه أقرب إليهم منا .

ومنصور بن أبى الأسود الليثى الكوفى الخياط كان أئمة الحديث يعرفون تشيعه ، ومع ذلك قبلوا أحاديثه لصدقه وعدالته ، وهى فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى .

وعلى بن غراب الفزارى الكوفى القاضى (المتوفى سنة ١٨٤) كان من شيوخ الشيعة غير أنه صادق ثقة ، ولذلك روى عنه أئمتنا من طبقة أحمد بن حنبل وأمثاله .

ومن أعلام أئمة السنة فى دولة بنى العباس الإمام أبو الحسن على بن عاصم الواسطى (المتوفى سنة ٢٠١) وكان من طبقة شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ومن أهل الصلاح والدين ومجلسه الذى يحدث فيه عن رسول الله ﷺ كان يحضره أكثر من ثلاثين ألفاً ، فلا يبقى فى بغداد — وهى عاصمة الدنيا يومئذ — طالب علم ولا ذو مكانة إلا وهو حريص على أن يشهد مجلس حديثه . وقد جاء عنه فى كتاب (الكفاية [٣]) للخطيب البغدادى أن الفضل ابن مروان الذى كان كاتباً للمعتصم وكان يده اليمنى إلى سنة ٢٢٠ قال : كان المعتصم (أى قبل خلافته) يختلف إلى على بن عاصم المحدث ، وكنت أمضى معه إليه ، فقال على بن عاصم

---

(١) فى علم الدراية ، وهو من أهم كتب الشيعة فى مصطلح الحديث .

(٢) ج ١ ص ٢٨٥ وهو أوسع كتبهم فى الجرح والتعديل .

(٣) ص ١٢٣ طبعة حيدر اباد الدكن .

مكتبتنا العربية

يوماً : « حدثنا عمرو بن عبيد وكان قدريا » ، فقال له المعتصم : يا أبا الحسن ، أما تروى أن القدرية مجوس هذه الأمة ؟ قال : بلى . قال : فلم تروى عنه ؟ قال : لأنه ثقة فى الحديث ، صدوق . قال المعتصم : فإن كان المجوسى ثقة فما تقول ، أتروى عنه ؟ فقال له على بن عاصم « أنت شغاب يا أبا إسحاق ! » . وإنما عد على بن عاصم هذا الاعتراض من المعتصم العباسى شغبا لأنه كان ينبغى له أن يميز بين المتأولين غير المعاندين كالمعتزلة والقدرية وبين الذين لا يعترفون برسالة الإسلام من أصلها ، فالكافر الأصلى والفاسق الذى يواقع الفسق متعمدا لا تجوز الرواية عنهما وإن كانا من أهل الصدق لأنهما معاندان ، أما المتأولون فهم من الأمة وغير معاندين ، ولذلك نسبوا فى الحديث إلى الأمة فقيل فيهم « مجوس هذه الأمة » فهم منها وإن انحرفوا مع أهوائهم .

وممن روى أئمة أهل السنة عنهم من الشيعة عبيد الله بن موسى العبسى مولاهم أبو محمد الكوفى (المتوفى سنة ٢١٣) ، قال أبو داود : كان شيعياً ، ومع ذلك فإن أحاديثه قد رواها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، وأبو حاتم الرازى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وإسحاق الحنظلى وأضرابهم .

وعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى (١٢٦ - ٢١١) يعده رجال الشيعة فى الجرح والتعديل من أئمتهم وعلمائهم ، ويعرف ذلك فيه أئمة أهل السنة ، ومع ذلك أخذ عنه الإمام أحمد وأمثاله وأثنوا عليه فى علمه وتقواه وتلقوا روايته بالقبول ، لأنهم لم يظهروا منه على ما يوجب اجتناب حديثه .

وحسين بن حسن الفزارى الأشقر (المتوفى سنة ٢٠٨) جاء عنه فى كتاب (الكفاية[1]) للخطيب البغدادى أن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلى قال : سمعت يحيى بن معين ذكر حسيناً الأشقر فقال : كان من الشيعة الغالية الكبار . قلت : وكيف حديثه ؟ قال : لا بأس به قلت : صدوق ؟ قال : نعم ، كتبت عنه عن أبى كدينة ويعقوب القمى .

وروى الخطيب البغدادى [2] بسنده إلى محمد بن عبد العزيز الأبيوردى قال : سألت أحمد بن حنبل أيكتب (أى الحديث) عن المرجىء والقدرى ؟ قال : نعم يكتب عنه إذا لم يكن داعياً .

---

(١) ص ١٣٠ . (٢) الكفاية ١٢٨ .

مكتبتنا العربية

وروى (فى ص ١٢٩) بسنده إلى أبى إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى (المتوفى سنة ٢٨٥) أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قيل له : فى حديثك أسماء قوم من القدرية . فقال : هو ذا ، نحن نحدث عن القدرية .

وفى الكفاية (ص ١٢٨) عن إبراهيم الحربى أيضاً أن أحمد بن حنبل قيل له : يا أبا عبدالله ، سمعت من أبى قطن القدرى . فقال : لم أره داعية ، ولو كان داعية لم أسمع منه .

* * *

قال الخطيب البغدادى فى (الكفاية[1]) : « والذى يعتمد عليه فى تجويز الاحتجاج بأخبارهم ـ أى بأخبار أهل الأهواء والمخالفين لأهل السنة فى العقيدة ـ ما اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل ، ثم استمرار عمل التابعين والخالفين بعدهم على ذلك ، لما رأوا من تحريهم (أى من تحرى من رووا عنه منهم) الصدق ، وتعظيمهم الكذب ، وحفظهم أنفسهم عن المحظور من الأفعال ، وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة ، وروايتهم الأحاديث التى تخالف آراءهم ويتعلق بها مخالفوهم فى الاحتجاج عليهم . فاحتجوا برواية عمران بن حطان وهو من الخوارج وعمرو بن دينار وكان يذهب إلى القدر والتشيع ، وكان عكرمة إباضياً ، وابن أبى نجيح وكان معتزليا ، وعن الوارث بن سعيد وشبل بن عباد وسيف بن سليمان وهشام الدستوائى وسعيد بن أبى عروبة وسلام بن مسكين وكانوا قدرية ، وعلقمة بن مرثد وعمرو بن مرة ومسعر بن كدام وكانوا مرجئة ، وعبيد الله بن موسى وخالد بن مخلد وعبد الرزاق بن همام وكانوا يذهبون إلى التشيع ، فى خلق كثير يتسع ذكرهم . دوّن أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم واحتجوا بأخبارهم . فصار ذلك كالإجماع منهم ، وهو أكبر الحجج فى هذا الباب ، وبه يقوى الظن فى مقاربة الصواب » .

* * *

وإذا كانوا يقبلون حديث المخالف لهم ما دام من أهل الأمانة والعدالة والضبط ، فإنهم يرفضون أحاديث العابدين الانقياء الزاهدين المشهود لهم بالصلاح إذا لم يكونوا من أهل العدالة والضبط فى رواية الحديث .

وقد تناول الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى هذا الموضوع فى مقدمة صحيحة بالبسط

---

(١) ص ١٢٥

مكتبتنا العربية

وحسن البيان ، وعقد الخطيب البغدادى فصلا مستقلا لهذا الموضوع فى (الكفاية[1]) روى فيه بسنده إلى الأصمعى (١٢٢ - ٢١٦) عن ابن أبى الزناد وعبد الرحمن بن عبد الله ابن ذكوان (المتوفى سنة ١٧٤) عن أبيه (المتوفى سنة ١٣٠) وكان من أئمة مدينة الرسول ، بل كان الإمام أحمد بن حنبل يسميه أمير المؤمنين أنه قال : « أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ، ما يؤخذ عنهم شيء من الحديث ، يقال : ليس من أهله » .

وروى بسنده إلى أبى سليمان شيخ من أهل المدينة أن ربيعة الرأى - وهو أبو عثمان ربيعة بن أبى عبد الرحمن التيمى المدنى - من أئمة الفقه (المتوفى سنة ١٣٦) قال : « إن من إخواننا من نرجو بركة دعائه ، ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها » .

وروى بسنده إلى الحافظ أبى اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف السلمى الترمذى (المتوفى فى رمضان ٢٨٠) قال : سمعت ابن أبى أويس (وهو اسماعيل بن عبد الله الأصبحى المدنى المتوفى سنة ٢٢٧) قال : سمعت خالى مالك بن أنس (٩٣ — ١٧٩) يقول : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم . لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين — وأشار إلى مسجد الرسول ﷺ — يقولون ، قال رسول الله ﷺ ، فما أخذت عنهم شيئا ، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى (٥١ — ١٢٤) وهو شاب فيزدحم على بابه » .

وروى أبو إسحاق ابراهيم بن المنذر الأسدى الحزامى المدنى أحد كبار العلماء المحدثين المتوفى سنة ٢٣٦ عن معن بن عيسى القزاز المدنى المتوفى سنة ١٩٨ وكان من أئمة الحديث الذين أخذوا عن مالك أن مالك بن أنس قال : « لا يؤخذ العلم - أى علم السنة - من رجل صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه وإن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث » .

وروى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح أحد علماء مصر وفقهاء الفسطاط وكانت وفاته سنة ٢٥٠ أن أبا يزيد خالد بن نزار الغسانى الأيلى المتوفى سنة ٢٢٢

(١) ص ١٥٨ - ١٦١

مكتبتنا العربية

حدثه برسالة بعث بها الإمام مالك بن أنس إلى محمد بن مطرف بن داود التيمى المدنى وكان من العلماء الأثبات فى ذلك العصر — ولعل رسالة مالك إليه كانت بعد نزوح ابن مطرف عن المدينة الى فلسطين ونزوله فى مدينة عسقلان — قال :

« من مالك بن أنس — إلى محمد بن مطرف . سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله (وبعد وصايا أخرى قال) : ثم أخذه (يعنى العلم) من أهله الذين ورثوه عمن كان قبلهم يقيناً بذلك ، ولا تأخذ كل ما تسمع قائلا بقوله ، فإنه ليس ينبغى أن يؤخذ من كل محدث ولا من كل من قال ، وقد كان بعض من يرضى من أهل العلم يقول : إن هذا الأمر (أى حديث رسول الله ﷺ) دينكم ، فانظروا من تأخذوا عنه دينكم » .

* * *

وبعد فإن أئمة السنة الذين أخذوا على عاتقهم تحقيق كل ما نسب إلى النبى ﷺ من قول أو فعل ، فنجحوا فى ذلك بما لا يستطيع أن يدعى المؤرخون مثله لأى شخصية أخرى فى العالم ، كان الشرطان الأولان اللذان يشترطونهما فى حملة الأخبار المتعلقة بأقوال النبى ﷺ وأفعاله أن يكون الراوى من أهل الصدق والأمانة ، ومن أهل الإدراك والحفظ والضبط ، فإذا توفر هذان الشرطان فى الراوى تلقوا الخبر عنه بالقبول وإن كان مخالفا لهم فى النحلة والمذهب ، وإن لم يتوفر الشرطان أو أحدهما فى رجل اجتنبوا حديثه وإن كان من كبار الصالحين والعابدين الذين يلتمس أهل الحديث دعاءهم ويتبركون بهم . ولهذا امتازت كتب أهل السنة ولا سيما صحيحا البخارى ومسلم وسائر الكتب الستة بأنها المثل الأعلى لما يمكن أن يصل إليه المجهود البشرى فى التحقيق .

والذى يتردد فى الاطمئنان إلى كتب السنة ، ولا سيما أمهاتها التى تلقتها الأمة بالقبول ، فإنه لا يجوز له أن يصدق التاريخ كله فى شىء ، ولا أن يدعى معرفة ترجمة رجل من رجال التاريخ ، لأن كل ما ينسب إلى الماضى فى جميع الأمم لم يبذل فى تحقيقه جزء من ألف جزء مما بذله أئمة السنة لتحقيق ما ينسب إلى الهادى الأعظم محمد ﷺ من قول أو فعل ، والتثبت من صحته وأمانة ناقليه ، لأنهم يعلمون أنه المصدر الأعظم للحق والخير اللذين تنشدهما الإنسانية فى تكوين مجتمعها ، وستستمد الإنسانية يوم تستمد من هذا المصدر كيانها ونظامها الاجتماعى ؟

م . خ

مكتبتنا العربية

سماحة الإسلام

فى التعامل مع غير المسلمين

قال مندوب الأهرام :

أتيح لى أن جلست وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر جلسة طويلة ممتعة . وتحدثت إلى فضيلته فى مختلف الشئون ، وكان فى مقدمة هذه الشئون أهمية ما يتعلق بالأجانب المقيمين فى مصر ، وما حكم الشريعة الإسلامية فى معاملتهم وكيف ينظر إليهم الإسلام ؟ وبماذا يأمرنا به نحوهم !

ولقد تجلى فضيلة الأستاذ الأكبر فى تجليتها وتبيان أحكام الشريعة السمحة فيها ، وقد كان فضيلته يعنى أكبر العناية بدعم آرائه بالكتاب الكريم والحديث الشريف والأثر الصالح عن السلف الصالح ، قال فضيلته :

ينظر الإسلام إلى رسالات الله كلها على أنها دين واحد ، تتفق فى أصولها وروحها وغاياتها ، وإن اختلفت فى صورها ومظاهرها وتطورها .

ولذلك كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى عرفه البشر داعياً إلى تكريم رسل الله وأنبيائه جميعاً ، فقال عز وجل فى أواخر سورة البقرة « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

فنظرة الإسلام هذه إلى وحدة الأصل ووحدة الغاية فى ديانات الله ورسالاته كلها ، كان من أولى نتائجها أن لا ينظر المسلمون إلى شىء من ديانات الله نظرة ضغينة أو عداء ، وأن لا يذكروا أحداً من الذين حملوا رسالات الله إلى أهل الأرض إلا بالتعظيم والإجلال والتكريم ، فإذا ذكروا أحداً منهم قالوا مثلا « سيدنا إبراهيم عليه السلام » و « سيدنا موسى الكليم عليه السلام » و « سيدنا عيسى المسيح عليه السلام » . يقولون ذلك عن عقيدة وإيمان ؛ لأن كتابهم الحكيم طالبهم بأن يؤمنوا بذلك وأن يقولوا « لا نفرق بين أحد من رسله » .

ولا شك عندنا بأن دين الإسلام هو أول دين فى العالم أعلن هذا المبدأ ، وهذا فى سورة البقرة أيضاً : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . بل لعل الإنسانية لم يطرق النداء بهذه العقيدة سمع أحد منها فى أى بلد من بلاد الأرض قبل أن يفرض الإيمان

مكتبتنا العربية

بها فى الحجاز ، وقبل أن تقرر على أنها عقيدة من صميم الإيمان الإسلامى . فكل مسلم يخرج عليها ، أو يعمل بما ينافيها ، فهو مخالف لشعبة عظيمة من شعب إيمانه بالإسلام .

والقرآن يسمى المنتسبين إلى التوراة والإنجيل (أهل الكتاب) ومع تسامحه العجيب الذى لم يسبق له مثيل مع بنى الإنسان جميعاً ؛ فإنه خص أهل الكتاب بمنزلة أسمى ، ومعاملة أكرم . ومن ذلك قول الله عز وجل فى سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » .

وغير المسلمين فى نظر الإسلام ثلاثة أصناف : محاربون ، ومعاهدون ، وأهل ذمة .

وحكم الإسلام فيمن يحاربونه أن يدفعهم المسلمون إذا هاجموا ، وأن يبادروهم بما يكف بأسهم إذا تحفزوا ، وأن يقوّموا اعوجاجهم إذا اعتدوا على الحق إلى أن يعودوا إلى الإنصاف وفى ذلك يقول الله سبحانه فى سورة الحج : « أذن للذين يقاتلون (أى يقاتلهم المعتدون) بأنهم ظلموا (أى فى حالة ظلم عدوهم لهم) وإن الله على نصرهم لقدير » . ويقول فى سورة البقرة : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » .

ثم إن القتال لا يكون فى سبيل الله إلا إذا التزم فيه المسلمون مرضاة الله ، والله لا يرضى منهم إلا الإنصاف والعدل والرحمة وإيثار الحق على الباطل ، والخير على الشر فى جميع التصرفات ، وهذا هو سبيل الله ، وما خالفه فليس من سبيل الله ، والقتال فيه لا يكون عند المسلمين شرعياً . وإن تفصيل التشريع الإسلامى فى القرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم فيما يتعلق بالحرب والمتحاربين ، يدل على أنه قرر المبادىء الإنسانية السامية فى ميادين القتال وجعلها ديناً يحاسب أهله عليه بين يدى الله ، فضلا عما يناله فى الدنيا من الخزى إذا خالفوا هذه المبادىء العليا . ولا نظن أن أمة بلغت مبلغ المسلمين فى ذلك ، فضلا عن الرحمة والرفق فى تطبيق هذه المبادىء منذ أربعة عشر قرناً .

ومن الرفق الذى أقام الإسلام عليه سياسته الحربية أنه منع من التعرض بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال : كالرهبان ، والفلاحين ، والنساء ، والأطفال ، والشيخ الهرم ، والأجير ، والمعتوه ، والأعمى ، والمصاب بالزمانة ، بل من الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى والزمن ولو كان من ذوى الرأى والتدبير فى الحرب .

مكتبتنا العربية

ولو أردنا الإفاضة فى تفاصيل مبادىء الإنسانية العليا فى أحكام الإسلام الحربية لاحتجنا إلى تأليف كتاب ، لأنه لا يتسع له مقال فى الصحف .

أما المعاهدون ، وهم الذين انعقد بهم وبين المسلمين عهد على السلم ، فيجب على المسلمين الوفاء لهم بعهدهم كاملا ، وأن يستقيموا لهم ما استقاموا للمسلمين .

وقد وصى النبى ﷺ أمته بالذين بينهم وبين المسلمين معاهدة ، فقال : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » .

وحتى لو توقع المسلمون الغدر والخيانة من عدوهم المعاهد ، فلا يجوز لهم أن يعاجلوهم بالقتال إلا بعد إنذارهم وإعلانهم إلغاء حالة السلم التى كانت بين الفريقين . وهذا هو معنى قول الله عز وجل فى سورة الأنفال : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » . ومن تمام ذلك قول الله سبحانه فى سورة التوبة : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » . ثم قوله بعد قليل : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » .

وأكثر الأحكام التى يعامل بها المعاهدون فى بلاد المسلمين مبنية - بعد الوفاء بالعهد - على مبدأ المقابلة بالمثل . فنعامل رعايا كل فريق من الدين بيننا وبينهم عهد بمثل ما يعاملون به رعايانا إذا دخلوا بلادهم . ويوصى الإسلام بنيه بأن يرتبطوا بهم فى بلادنا برباط الألفة والعطف والتعاون ، وأن يكونوا متمتعين بحقوقهم الدينية ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

وأعظم من كل ما تقدم مكانة أهل الذمة فى الإسلام ، فلفظ « الذمة » معناه ذمة الله وعهده وأمانته ورعايته .

وقد ورد فى الحديث النبوى : « من قذف ذمياً ، حد يوم القيامة بسياط من نار » . وروى الخطيب البغدادى فى تاريخه - وهو من كبار أئمة الحديث الشريف وحفاظ السنة النبوية - عن عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ، أن النبى ﷺ قال : « من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » .

وقد بنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على هذا الحديث أوامره إلى قائده الأعظم فى جيش

مكتبتنا العربية

الفتح المصرى ووالیه الأول على وادى النيل وهو أبو عبد الله عمرو بن العاص السهمى ، فكتب إليه عقب فتح مصر يقول : « احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصما فإنه من خاصمه خصمه ، ونص عمر بن الخطاب على نفسه فيما كتبه من العهد لأهل بيت المقدس عند فتحها فقال إنه « أعطاهم الأمان لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسائر ملتهم لا تسكن كنائسهم ، ولا ينقص منها ، ولا من خيرها (أى أوقافها وصدقاتها) ولا من صليبهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد نص الفقهاء عند استنباطهم الأحكام التشريعية من حديث « لا يبيع رجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبته » فقالوا « البيع على بيع غير المسلم الداخل فى ذمة الإسلام كالبيع على بيع المسلم . والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم ، كلاهما حرام » .

وفى أداب المعاشرة نبهوا على حقوق أهل الذمة ، وندبوا إلى الرفق بهم ، واحتمال الأذى فى جوارهم ، وحفظ غيبتهم ، ودفع من يتعرض لأذيتهم .

وقال الشهاب القرافى - وهو من كبار أئمة التشريع فى الإسلام - فى كتابه الشهير (بالفروق) : « إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا ، لأنهم فى جوارنا ، وفى خفارتنا ، وفى ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ ، ودين الإسلام . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم ، أو أى نوع من أنواع الأذية ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى ، وذمه رسوله ﷺ ، وذمة دين الإسلام » .

وقال الإمام ابن حزم فى مراتب الإجماع : « إن من كان فى الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه (أى يقصدون من كان فى ذمة الإسلام) وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك ، لمن هو فى ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة » .

وبعد فإن المسلمين قد استناروا بسماحة دينهم ، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الأديان الأخرى ، ممن لا يكيدون لهم كيدا ، ولا يظاهرون عليهم عدوا ، وأرشدهم إلى أن يعيشوا معهم فى صفاء وتعاون على المصالح الوطنية المشتركة ، وأنه لا ينحرف من المسلمين عن هذه الأحكام والآداب إلا المنحرفون عن دينهم والعياذ بالله .

مكتبتنا العربية

الميسر واليانصيب

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

قابل مندوب جريدة (المصرى) صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وسأله عن حكم الإسلام فى الميسر واليانصيب ، فقال فضيلته :

من الناس من يعد نفسه من ذوى الأخلاق الفاضلة وهو مولع بلعب القمار ، وهذا لا يعد فى نظر الشارع وأهل الفضل ذا أخلاق كريمة ، فإنه قصد إلى الاستيلاء على مال غيره بغير حق فهو والسارق سواء لا فرق بينهما ، إلا أن السارق يمد يده إلى مال غيره بوجه خفى والمقامر يمد يده إلى مال غيره ولا يدرى هل يصل إليه أو يستولى غيره على ماله فيبقى حزيناً كاسف البال ، وهو على كلتا الحالتين منظور إليه بمقت وذم ، ففى الحالة الأولى بمقوت لأنه استولى على مال غيره بغير حق من عمل أو أمر آخر ، وفى الحالة الثانية مذموم محتقر حيث طمع فى مال غيره ومد يده اليه غير أنه لم يصل اليه ، فالشارع الحكيم أباح للإنسان أن يتمتع بما كان ملكا لغيره إن دفع له فى مقابله عملا أو شيئا كان فى ملكه ، فقال تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

وصاحب القمار لم يتاجر بماله بل تاجر بأخلاقه قبل كل شىء . ولا يغرنك فعل الأمم الأوربية واكتفاؤها برضا صاحب المال فى ظاهر الأمر ، فإنه إذا أخذ منه المال انقلب رضاه غيظاً ، بخلاف من اكتسب بماله عملا أو بضاعة ينتفع بها . والشارع الحكيم راعى فى المعاملات أن تكون عن رضا من صاحبها ظاهر وباطن ، وذلك وجه إباحته للتجارة وحله للبيع ومنعه من القمار ، وإذا كان الاوربيون أغنياء فإن لديهم معامل ومزارع متقنة والقمار قليل بالنسبة إلى مصانعهم ومزارعهم وتجارتهم ، والشارع الحكيم يحرم على المسلمين أن يدفعوا مالهم طمعاً فى أن ينالوا من إنسان آخر مثله فيعودوا بالمالين جميعاً فمن المحتمل أن يذهب مال المقامر جملة ولا يصل به إلى عمل أو الى بضاعة .

مكتبتنا العربية

اليانصيب للأعمال الخيرية

أما « اليانصيب » للأعمال الخيرية فهو قمار بلا ريبة ، وقد كان العرب فى الجاهلية - كما ذكر ابن قتيبة فى « الميسر والقداح » - عند شدة البرد وجدب الزمان وتعذر الأقوات على أهل الفقر والمسكنة - يقامرون بالقداح على الإبل ثم يجعلون لحومها لذوى الحاجات منهم والفقراء ، وهذا ما قصده القرآن بالمنفعة فى قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » . ومع هذا قد جعله القرآن بمنزلة الخمر إذ قرنه بها فى الآية . والشارع الحكيم يريد من أتباعه أن يكونوا خياراً كراما يدفعون أموالهم التى لا يتاجرون بها إلى الفقراء وذوى الحاجة العامة قاصدين وجه الله ورضوانه دون أن يقصدوا إلى سلب مال غيرهم ، فإن ذلك إثم كبير .

نفس الحر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعى :

أمطرى لؤلؤاً جبال سرنديـــب وفيضى آبار تكرور تبرا
أنا ما عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا
همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفراً
وإذا ما قنعت بالقوت عمرى فلماذا أزور زيدا وعمراً

وقال رضى الله عنه :

على ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أجل وأخطرا
وما ضر نصل السيف إخلاق غمده إذا كان عضبا حيث أنفذته سرى

مكتبتنا العربية

من صور الفداء في الإسلام

فترة الشباب في حياة الإنسان هي أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة، والعواطف الثائرة، وهي ليست عهد العافية المكتملة في البدن الناضج فقط، بل إنها - كذلك - عهد النزعات النفسية الجياشة يمدها الخيال الخصب والأمل البعيد..!

والأمم تستغل في شبانها هذه القوى المذخورة، وتجندها في ميادين الحرب والسلم لتذلل بها الصعب وتقرب البعيد.

ونجاح النهضات الكبيرة يرجع إلى مقدار ما بذل فيها من جهود الشباب وهممهم، وإلى مقدار ما ارتبط بها من آمالهم وأعمالهم.

وقد راقبنا الثورات التي اشتعلت في أرجاء الشرق ضد الغزاة المغيرين على بلاد الإسلام فوجدنا جماهير الشباب هم الذين صلوا حرها وحملوا عبئها، واندفعوا بحماستهم الملتهبة وإقدامهم الرائع يخطون مصارع الأعداء ويرسمون لأمتهم صور التضحية والفداء...!

ولا يزال الشباب من طلاب وعمال وقود الحركات الحرة، وطليعة الثائرين على الفساد والاستبداد، وقبلة المربين والمرشدين، والزعماء الذين ينشدون مستقبلا أزكى لهذه الحياة.

ونحن إذ نقرر هذه الحقائق ننوه بما تنطوي عليه من دلائل الإيثار والتفاني، ونرجو أن يكون حظ أمتنا من هذه الثروة الحية كفاء ما رميت به من أحداث جسام وما فقدت من أمجاد عظام، فلا ينتهي هذا العصر حتى نكون قد غسلنا بلادنا من أدران الاحتلال الأجنبي الذي أخزانا في ديننا ودنيانا..!

بيد أن هناك رجالا تقدمت بهم السن وذهبت عنهم سورة الشباب، وتكاثرت الصلات التي تربطهم بالدنيا، ومع ذلك فإن جذوة اليقين المتقد في قلوبهم تمسك بالشباب المولى عن جلودهم وعظامهم. وتبقيه، بل تضاعفه، في قلوب تنبض بالحق وتدفعه في العروق مع الدم، فإذا بك ترى منهم بأس الحديد، وجرأة الأسود، وإذا بك ترى رجالا تستهويهم المغامرة، ويطيرون إلى التضحية في سبيل الله أخف من الشباب الغض...

قد يقبل الشاب الفذ على المخاطر، وسبل البذل أمامه ميسرة، فهو إن سجن لم يجزع على أسرة يعولها! وإن قتل لم تبكه امرأة أيم! ولا ولد يتيم! وخفة حمله من هذه الناحية

مكتبتنا العربية

تجعله سريع الاستجابة لنداء الواجب أو تزيح العوائق من أمامه إذا ثارت فى دمه نوازع النجدة ...

أما البطولة الفارعة فهى أن يكون المرء رب أسرة كبيرة يضرب فى مناكب الأرض لرعايتها ويسير فى الحياة وهو موقر بأثقالها . غير أنه - وهو الزوج المحب والأب الرحيم والراعى المسئول - مؤمن قبل ذلك كله بالله ورسوله ، مخلص للدين الذى اعتنقه مقدر للحقوق التى ارتبطت به ، فإذا أحس للإسلام طلباً سارع إليه ، ولباه بروحه وماله ، ولم تشغله أعباء الحياة التى يكدح فيها عن مطالب المثل العالية التى آمن بها . .

والإنسان عندما يقرأ استشهاد عبد الله بن حرام يرى فى قصته جلالا تنحنى له الحياة ، إعزازاً للأبوة الرقيقة التى جادت بنفسها واستودعت الله أسرة من غلام واحد وست بنات ! ! :

روى أبو داود والنسائى عن جابر بن عبد الله قال « خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين يقاتلهم ، وقال لى أبى : يا جابر ، لا عليك أن تكون فى نظارى أهل المدينة حتى تعلم إلام يصير أمرنا ؟ فإنى والله لولا أنى أترك بنات لى بعدى لأحببت أن تقتل بين يدى ، قال : فبينا أنا فى النظارين إذ جاءت عمتى بأبى وخالى ، عادلتهما على ناضح ! فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادى : ألا إن النبى ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوهم فى مصارعهم ، فرجعنا بهما ، فدفناهما حيث قتلا . . »

وروى البخارى عن جابر أيضاً « لما حضر أحد دعانى أبى من الليل ، فقال لى : ما أرانى إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ . وإنى لا أترك بعدى أعز علىّ منك غير نفس رسول الله ! وإن على دينا ، فاقضه ، واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل » .

* * *

هذا الصاحب الجليل خرج مع رسول الله ليصدوا هجوم المشركين على المدينة ، تاركا وراءه هذه الأسرة الكبيرة ، وقوامها كما رأيت بنات يحتجن إلى الكافل الحانى ، ولم يكن أبوهن ذا بسطة فى المال ينفق منه عن سعة . ويترك لعقبه من بعده ما يغنى ويصون ، بل كان الرجل مهموما بشئون الرزق ، ينصب فيه ويستدين . وغلام فرد إلى جوار ست بنات

مكتبتنا العربية

يكون غالبا قرة عين الوالد وموضع حبه العميق ، لكن عبد الله يقسم أنه يود لو قدم ابنه ليستشهد فى سبيل الله ، وأنه إنما يعجل بنفسه حتى يبقى الابن لأخواته يخدمهن ، فإن ابنه لو قتل قبله ، فلن تطول بالأب حياة ، إنه لا بد مقتول فى أقرب معركة . .

إن أصحاب المبادىء سراع إلى تلبية مبادئهم ؛ عند ما يُقرع باب الكريم ينهض وهو يقول :

فقمت ولم أجثم مكانى ولم تقم مع النفس علات البخيل الفواضح

وعند ما يطلب الشجاع إلى ساحة الوغى يذهل عن الحياة وأواصره بها ، وينطلق وهو يقول : « وعجلت إليك رب لترضى » !!!

وقد خرج أبو جابر إلى أحد ليلقى مصيره مع أبر شهداء الإسلام ، روى الشيخان عن جابر قال : أصيب أبى يوم أحد ، فجعلت أكشف عن وجهه وأبكى ! وجعلوا ينهوننى والنبى ﷺ لا ينهانى ، وجعلت فاطمة بنت عمرو رضى الله عنها تبكيه ! فقال ﷺ : تبكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » . وروى الترمذى عن جابر قال : لقينى رسول الله مرة وأنا مهتم ، فقال : مالى أراك منكسرا ؟ فقلت : استشهد أبى يوم أحد ، وترك عيالا ودينا . فقال : ألا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قلت : بلى ! قال : ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وإنه أحيى أباك فكلمه كفاحا - أى مواجهة - فقال : يا عبدى ، تمن على أعطك ! قال : يارب ، تحيينى فأقتل ثانية ! فقال سبحانه وتعالى . إنه قد سبق منى أنهم لا يرجعون . فنزلت : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا . . . » والمرء يحار ، أيعجب من كرامة الشهيد على الله ؟ أم من حلاوة الفناء فى الله التى ذاقها أولئك الشهداء ؟ إن أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده ، ولم تستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده ؛ بل تطلع للعودة إلى الدنيا كيما يذهل مرة أخرى عن أحب شىء فيها ، ويمشى بخطى ثابتة إلى ساحة القتال .

ولقد كفل الله أولاد الشهيد ، وقضى عنه دينه فى حديث يطول .

* * *

ولندع حديث الصدر الأول ، ونستأنف حديث الأشياخ المجاهدين فى عصرنا هذا ، إننا واجدون رجالا من طراز رائع صنعهم الإسلام القوى فأحكم صناعتهم ، وقذف بهم على جند الباطل فجددوا سير السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

مكتبتنا العربية

من أولئك النفر الغرّ: عمر المختار ، البطل الذى بلغ التسعين من عمره وهو يجوب الصحراء مطارداً ، الطليان ، الذين أغاروا على طرابلس ، وعملوا على تنصيرها بالحديد والنار . وفيه يقول « شوقى » :

بطل البـــداوة لم يكن يغزو على ... تنك ، ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيـل حمى صهواتهـــا ... وأدار من أعرافها الهيجـــاء

وقد وقع الشيخ المهيب فى أسر الأعداء ، فألفوا محكمة قضت بقتله شنقاً !! والطليان قوم لا ينتظر منهم شرف المعاملة ، لا مع صديق ولا مع خصم ، وقد ندد شوقى بهذا الحكم الشائن فقال :

خفيت على القاضى ، وفات نصيبها ... من رفق جنـــد قادة نبلاء !!
تسعون لو ركبت مناكب شاهق ... لترجلت هضبـــاته إعيـاء ...

ويقول :

شيخ تمالك سنّه ، لم ينفجـــر ... كالطفل - من خوف العقاب بكاء !
الأسد تزأر فى الحـــديد ولن ترى ... فى السن ضرغاماً بكى اســـتخذاء

ثم يخاطب الشعب طالباً منه تجنيد الشباب وإعفاء الشيوخ . فيقول :

فأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... واحمل على شبانك الأعبـــاء

على أن منطق اليقين لا يكترث بفوارق السن ، فإن العقيدة المتفجرة فى القلوب الكبيرة ترد الكهول الوانين فتيانا نشطين ، أما إذا تخلخل الإيمان فإن الشاب الجلد يمسى حاس منفعة تافهة ولذة مهينة . !!

والدعوات العظيمة لا تضار بشىء مثل ما تضار بهذا الصنف من المتلونين المتطلعين ، الصنف الذى يحاذر أن يمسه سوء ، ويسارع إلى إحراز الغنائم ، ويشارك بجسمه أصحاب الرسالات ، أما قلبه فهو بعيد بعيد . . .

الصنف الذى صور القرآن موقفه النابى المريب فى هذه الآيات « وإن منكم لمن ليبطئن ، فإن أصابتكم مصيبة قال : قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن : كأن لم تكن بينكم وبينه مودة . ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » .

مكتبتنا العربية

والمرء لا يصلح أن يكون رجل دعوة أو صاحب رسالة إذا بنى حياته فى حساب الأرباح والخسائر على هذا النحو المنكر .

ربما كان الرجل خالى البال لا يتبع أهلا ولا مالا ، فهو بهز كتفيه لما تفد به الليالى من أحداث . أفإذا بلى بأثقال الأهل والمال تخفف فى مسيره من أعباء الفضائل وألقى بها فى عرض الطريق وأضحى لا يهدأ أو لا يهيج إلا لمنافعه الخاصة ؟ ؟

كذلك فعل المنافقون قديما ! فعندما ندبوا للجهاد قعدوا واعتذروا « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا . يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم . قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا . بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا . . . »

إنهم توهموا الخروج مغامرة مخوفة العاقبة أو مقامرة بعيدة الربح فنكصوا ، وأفئدتهم صفر من معانى اليقين والتضحية التى تجل الشهيد يقبل على الموت ويود لو يرد إلى الحياة ليموت مرة أخرى .

ولو كان الخروج لنفع يسير لكان لهم مع القافلة سواد كثيف ؛ « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها : ذرونا نتبعكم يريد أن يبدلوا كلام الله . قل : لن تتبعونا . كذلكم قال الله من قبل . . . »

وقد حذر الله المؤمنين أن تسيطر على أفكارهم هذه المآرب أو تتدخل فى نياتهم هذه المناقع « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

* * *

فلتكن لنا من حياة المجاهدين عظة ومن مماتهم عبرة ، ومن مسلكهم مع أهليهم وأموالهم أسوة حسنة .

محمد الغزالى

مكتبتنا العربية

صحوة الأرواح

صحت الأرواح على صيحة الإيمان تحمل النذر وتتوعد السادرين فى غواية الأحلام وتهتك غياهب المخازى التى طوت أمواجها مصر زعيمة الإسلام .

صحت الأرواح على ثروة الحق التى أرعشت عواصفها قلوب المتألهين الذين سخروا للذاتهم كل شىء حتى داسهم الصغار فسخر منهم كل شىء .

صحت الأرواح على وثبة جريئة كسرت الكبول التى شلت أيدينا وحطمت الأغلال التى قوست أصلابنا وهشمت القيود التى أدمت أعقابنا .

صحت أرواح الكتاب بعد خمود وتحركت بعد همود ، فإذا الليل الرهيب الذى ضلت فى كنهه الأقلام قد انجاب ، وإذا الرعب الذى هصر عودها قد أبحر إلى غير إياب .

وإذا أصبح الأمل تستروح الأرواح نسماته ، وتغرى الأقلام بوضاءة الحق بسماته ، صحت أرواح المحدثين على منطق الثورة يصيح فيهم : اخرجوا من السجون التى طوتكم جنباتها وأعمتكم ظلماتها ، فكظمتم عن قول الحق الأفواه وربتم على صدق النصيحة الشفاه .

اخرجوا فاحملوا المشعل بين يدى موكب النهضة ، واسبقوا الطلائع واستنفروا الناس ليسيروا مع القافلة إلى المجد ، لا إلى الغنائم والأسلاب وإنما إلى حياة العزة التى ينشدها الأحرار والتى حفت سبلها بالمكاره والأهوال .

فتحت أرواح الخطباء على فجر الوطنية الصادق يؤذن مؤذنه : الجهاد خير من النوم ، فدارت عيونهم فى السماء تنقب عن مصدر النداء فإذا خفقات البنود وإذا صوت البعث تلهب جلجلته عزم الجنود ، فجاوب الخطباء على المنابر صداه ، وانطلقت ألسنتهم التى عقلها بطش الطغاة .

لقد أيقظ صوت البعث هذه الأرواح فجاوبت أصداء الكفاح ، وانجلت غيوب الماضى بمخازيها ، وتخلصت مصر من مخالب الاستغلال التى عبثت بأمانيها .

فهل أيقظ صوت البعث أرواح الوعاظ والمرشدين — وهم هداة الأمة ومصابيحها ومعلمو الشعب ورسل الدين إليه - ليوجهوا الأمة إلى الخير ، ويربوا الشعب تربية طيبة

مكتبتنا العربية

قوامها حب المحسن وبغض المسيء، ومعاونة المصلحين وتدمير المفسدين، وإطاعة ولى الأمر العادل والثورة على الظالم الجائر.

هل صحت أرواحهم فغسلوا قلوبهم وطهروا حياتهم من دنياهم التى عاشوا فيها، دنيا المادة والمظهر الكاذب، ليشرقوا على المسلمين بنفوس من طراز جديد آمنت إيماناً عميقا برسالتها فهى لا تفكر فى غير ما تحقق به هذه الرسالة، فحيثما وجد الواعظ أدى الأمانة لله ولدين الله ودعا الناس إلى تسليح قلوبهم بالفضائل قبل أن يخوضوا المعارك الفاصلة بين الحياة والموت.

الحق أن النهضة تريد واعظاً جديداً تغلغل حبه لرسالته فى أعماق قلبه، يعظ الناس بروحه لا بلسانه وبعمله قبل علمه، لتصل العظات إلى القلوب فتخلقها خلقاً جديداً.

ولن تمس العظة الروح إلا إذا كان الواعظ مثلا حيا للأخلاق مؤمناً بما يقول ويفعل، فهل آن للوعاظ أن تصحو أرواحهم، وتخلص نفوسهم ليشتركوا فى بناء هذه النهضة، ويدعموا أركانها.

وهل صحت أرواح المعلمين ليضعوا النشء فى مرجل الأخلاق حتى تنصهر النفوس، ثم تخرج طاهرة أصفى ما يكون الطهر، نقية أخلص ما يكون النقاء، فليست معاهد التعليم غير مصانع للرجولة قبل كل شيء، فإن فشلت هذه المصانع فيما تنتج، فخليق بالدولة أن تحاسب المعلم الفاشل على هذا الفشل، فالدولة لا تطعمه لوجه الله، بل ليبنى لها نفوساً لا يروعها معترك الحياة، ولا تفزعها أمواج الأحداث.

إننا نريد معلماً يؤمن بأن مستقبل البلاد أمانة فى عنقه، وبأن الشباب الذى بين يديه هم قادة الغد وجنوده فجدير به - وتلك رسالته - أن يخلق للتاريخ الرجال، وأن يفنى قوته وحياته فى بناء ذلك المستقبل المنشود، فإن لم يفعل فهو عضو مريض فى جسم الأمة، ولن يضير الأمة أن تتخلص منه حتى لا يفسد بناءها.

إن واجب المعلم أن يقدم لمصر مصريا عاملا فى المجتمع لا مصريا متمرداً على المجتمع. يجب أن يقدم لمصر مصريا امتلأ قلبه بالرحمة، وروحه بحب الخير، لا مصريا أبلته المادة فعاش لأهوائه ومطامعه.

وأخيراً - ونحن بين يدى هذا البعث الجديد؛ هل صحت أرواح الأمهات فعكفن على جيل الغد تربيته تربية صادقة، فهن المدرسة الأولى، وأطفالهن أمانة فى أيديهن، فعليهن أن

مكتبتنا العربية

بين الفلسفة وعلم الكلام
عند المسلمين

لقد مضى عصر النبي ﷺ وعصر أبي بكر ، ثم عصر عمر بن الخطاب ، ثم بعض عصر عثمان رضى الله عنهم ، وأمر عقيدة المسلمين واضح لا لبس فيه ولا إبهام ، لأن مصدر العقيدة هو الكتاب والسنة .

ولقد كان الجميع يؤمنون بالقرآن كله ، المحكم منه والمتشابه ، أنه كتاب الله الذى أنزله على نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وحيث إنهم قد آمنوا برسالة محمد بن عبد الله ، فإنهم لابد أن يصدقوا بكل ما جاء به .

إن فى القرآن الكريم آيات تدل على تنزيه الله وعلى نفى مشابهته للمخلوقات ، قال تعالى : « ليس كمثله شيء » . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ،

يرعين هذه الأمانة ، وأن يسهرن على تلقين رجال الغد معانى الرجولة ، ويضعن تحت أعينهن صوراً حية من البطولة الصادقة .

حقاً إن العبء ثقيل على المرأة فى بناء هذه النهضة ، ولكنها ستنسى الاعباء يوم يطول البناء وترى ركنها يفرع الجوزاء .

لقد أحيا البعث الإسلامى أمة اختلفت عليها الأدواء ، وتنازعتها مخالب الأهواء ، ونخرت فيها العلل ، واحتربت فيها الفوضى ، فخلقت قوته من تلك الأمة المهلهلة المنحلة أمة قوية فى أخلاقها ، فتية فى عزيمتها ، دقيقة فى سياستها ، عظيمة بمبادئها ، شريفها ووضيعها أمام الحق سواء . بكل هذا عزت وبكل هذا سادت وبكل هذا ملكت وحكمت .

فهل يخلق البعث المصرى الجديد - من تلك الأمة التى تهدمت أخلاقها واضطربت سياستها وجثمت على صدرها الأطماع حتى أهكنتها - أمة تسود بأخلاقها ، وتعز بدينها وبمبادئها ، وتملك بإيمان رجالها .

أيها المصريون ، بل أيها المسلمون ، بل أيها الشرقيون ، إننا يوم نعود إلى الله بقلوبنا ونعتز بدينه فى حياتنا ونخلص لوجهه أعمالنا ونستلهمه الرشد فى خطانا ونعيه لخير مصر والشرق كفاياتنا ونفسى أهواءنا وننكر ذواتنا ، سنقلب وجه التاريخ لنعيد لذلك الوجود عهداً لم تحلم به أعظم العهود .

محمد خليفة

مكتبتنا العربية

بين الفلسفة وعلم الكلام
عند المسلمين

لقد مضى عصر النبي ﷺ وعصر أبي بكر ، ثم عصر عمر بن الخطاب ، ثم بعض عصر عثمان رضى الله عنهم ، وأمر عقيدة المسلمين واضح لا لبس فيه ولا إبهام ، لأن مصدر العقيدة هو الكتاب والسنة .

ولقد كان الجميع يؤمنون بالقرآن كله ، المحكم منه والمتشابه ، أنه كتاب الله الذى أنزله على نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وحيث إنهم قد آمنوا برسالة محمد بن عبد الله ، فإنهم لابد أن يصدقوا بكل ما جاء به .

إن فى القرآن الكريم آيات تدل على تنزيه الله وعلى نفى مشابهته للمخلوقات ، قال تعالى : « ليس كمثله شيء » . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ،

يرعين هذه الأمانة ، وأن يسهرن على تلقين رجال الغد معانى الرجولة ، ويضعن تحت أعينهن صوراً حية من البطولة الصادقة .

حقاً إن العبء ثقيل على المرأة فى بناء هذه النهضة ، ولكنها ستنسى الاعباء يوم يطول البناء وترى ركنها يفرع الجوزاء .

لقد أحيا البعث الإسلامى أمة اختلفت عليها الأدواء ، وتنازعتها مخالب الأهواء ، ونخرت فيها العلل ، واحتربت فيها الفوضى ، فخلقت قوته من تلك الأمة المهلهلة المنحلة أمة قوية فى أخلاقها ، فتية فى عزيمتها ، دقيقة فى سياستها ، عظيمة بمبادئها ، شريفها ووضيعها أمام الحق سواء . بكل هذا عزت وبكل هذا سادت وبكل هذا ملكت وحكمت .

فهل يخلق البعث المصرى الجديد - من تلك الأمة التى تهدمت أخلاقها واضطربت سياستها وجثمت على صدرها الأطماع حتى أهكنتها - أمة تسود بأخلاقها ، وتعز بدينها وبمبادئها ، وتملك بإيمان رجالها .

أيها المصريون ، بل أيها المسلمون ، بل أيها الشرقيون ، إننا يوم نعود إلى الله بقلوبنا ونعتز بدينه فى حياتنا ونخلص لوجهه أعمالنا ونستلهمه الرشد فى خطانا ونعيه لخير مصر والشرق كفاياتنا ونفسى أهواءنا وننكر ذواتنا ، سنقلب وجه التاريخ لنعيد لذلك الوجود عهداً لم تحلم به أعظم العهود .

محمد خليفة

مكتبتنا العربية

وفيه آيات أخرى كثيرة تدل بظاهرها على ما لا يتفق مع آيات التنزيه ، كقوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » وقوله تعالى : « ولتصنع على عيني » وقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .

ولكن هل شك مسلم فى صدق آيات التنزيه والآيات الأخرى التى لا يتفق ظاهرها معها ؟ أو هل تحدث فى تعارض ظاهرها أحد من المسلمين فى العصور الثلاثة التى ذكرناها ؟ كلا .

لقد فهم المسلمون أن أصل الإيمان هو التصديق بأن الله سبحانه وتعالى : أرسل محمدا ﷺ للعالمين بشيراً ونذيرا ، وأنه أنزل عليه القرآن الكريم لتحصيل سعادتى الدنيا والآخرة ، وأنه أرسل قبله - عليه السلام - رسلا مبشرين ومنذرين لمن بعثوا إليهم من الأمم ، وأن لهم كتبا أنزلها الله تعالى عليهم ، وأنه يجب الإيمان بهؤلاء الرسل كما يجب الإيمان برسالة محمد عليه السلام ، كذلك يجب الإيمان بأن الله خالق العالم ، وأنه منزه عن جميع النقائص ، ومتصف بجميع الكمالات ، وأنه سيبعث الناس ، وسيحاسبهم على أعمالهم ، وسيجازيهم عليها بالإثابة إن كانت أعمالا طيبة ، وبالعقوبة إن كانت سيئة . هذا هو مجمل عقيدة المؤمن التى يجب عليه الإيمان بها ، والتى كانت سائدة فى عصر الرسول - عليه السلام - وعصر أبى بكر وعمر وبعض عصر عثمان ، رضى الله عنهم . وبجانب الآيات التى تتخالف فى ظاهرها بين التنزيه والتشبيه توجد آيات أخرى فى القرآن الكريم تتعارض فى ظاهرها فى أن الإنسان مجبور فى أفعاله أو مختار ، فإننا نقرأ فى سورة واحدة هى « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » آية تدل على اختيار الإنسان فى أفعاله « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » : ثم نقرأ فيها آية أخرى تدل على جبره فى أفعاله « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » . ولقد احتج الدمشقى صاحب القول بالاختيار بالآية الأولى ، ويقال إن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - احتج عليه بالآية الثانية فأسكته [1] .

ولكن هل عارض مثل هذه الآيات ببعضها أحد من المسلمين فى العصور التى نتحدث عنها ؟ كلا فيما نعلم ، لأننا لم نر شيئا من هذا قد ذكر لا فى كتب المتقدمين ، ولا فى كتب المتأخرين ، اللهم إلا ما ذهب إليه أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى صاحب كتاب « الملل والنحل » من أن قول بعض المنافقين فى يوم « أحد » « هل لنا من الأمر من شىء » وقولهم « لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا هاهنا » وقولهم « لو كانوا عندنا ما ماتوا

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٣٤ لصاحب المقال .

مكتبتنا العربية

وما قالوا « ما هو إلا تصريح « بالقدر » ، وكذلك ما حكى عن المشركين فى قوله تعالى « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء » وقول طائفة منهم « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » ما هو إلا قول « بالجبر » . على أن ما نقله الشهرستانى إنما كان من المنافقين والمشركين ونحن إنما نتكلم عن حال عقيدة المسلمين ، ولا شك أن كل مسلم كان يؤمن بالقرآن الكريم سواء منه آياته الدالة بظاهرها على « الجبر » وآياته الدالة على « الاختيار » .

إنه لا يمكن وصف أفعالنا كلها « بالاختيار » وإلا كنا أشباه آلهة ، ولكن لتصحيح المسئولية وتنفيذ الشرائع أعطينا قدرا من الاختيار يمكننا من القيام بما كلفنا به الشارع الحكيم من دون أن تكون لنا القدرة على كل شيء ، وبجانب هذا القدر من الاختيار نجد أنفسنا عاجزين عن تحقيق كل ما نريده لأنفسنا من المطالب الدنيوية المباحة ، لأن كل الظروف والملابسات لا تخضع لإرادتنا المحدودة ، وإنما هى خاضعة لإرادة عليا ، هى إرادة خالق الكون ومدبره ، فمثلا الزارع يضع البذر فى أرضه وهو يريد أن تأتى بخير الثمرات وأطيبها ، ويبذل ما فى وسعه من العناية بسقى الأرض وتنظيفها ، وتغذية النبات بمختلف الأسمدة ، ثم تأتى آفة سماوية أو أرضية تقضى على ما كان يؤمل من الجنى الطيب والخير الكثير ، فقدرة العبد لم تمتـــد إلا الى أشياء بسيطة هي وضع البذور ، وري الأرض ، وتنقيتها من الطفيليات النباتية ، ولكنها عجزت عن دفع ما كان بقدرة الله وإرادته . هذه العقيدة الصحيحة فى قدرة العبد وقدرة الإله وإرادتهما هى العقيدة التى كان يدين بها النبى ﷺ وأصحابه من بعده ، حتى جدت حوادث ، وقامت فتن ، كان لها ما كان من أثر كبير فى تغيير عقائد المسلمين . إنه بناء على العقيدة الإسلامية الصحيحة التى بيناها كيف المسلمون حياتهم العامة والخاصة : يعملون ويرجون ، ويسعون ويتوكلون ، يحاربون ويذكرون ، حتى لا تخدع نفوسهم ويؤمنون بأن النصر من عند الله « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

وفى مقال تال نذكر إن شاء الله ، كيف أن الرسول - عليه صلوات الله - وأصحابه من بعده نقدوا المنهج القرآنى اعتقادا وعملا بما حقق الغاية فى أقل زمن ، ثم نأخذ فى ذكر ما دخل على العقيدة الإسلامية من الآراء الفلسفية التى كادت تباعد بينها وبين معينها الأول الصافى ، وهو القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، حتى يظهر لنا واضحا أنه لو رجع المسلمون إلى هذا المعين لتغير حال المسلمين ، وصلح أمر المؤمنين .

على مصطفى الغرابى

مكتبتنا العربية

فتوى بإباحة تكذيب رسول الله ودعوة الأمة إلى أن تنسخ ما تشاء من القرآن

فاضحتان خبيثتان في مجلة دار التقريب

في العدد الأخير (الرابع للسنة الرابعة) من مجلة دار التقريب بين المذاهب، مقال لرئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا في لبنان عنوانه: «من اجتهادات الشيعة الإمامية»، جاء فيه ما يأتي في ص ٣٦٨:

«إن في كتب الشيعة الإمامية اجتهادات لا يعرفها الخواص من علماء السنة، ولو اطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة وتفكيرهم».

ثم أورد رئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا ثلاثة أمثلة من اجتهادات الشيعة ليقوّي بها ثقة علماء السنة بالشيعة وتفكيرهم. ونحن ننقل أوسطها. وهذا نصه بالحرف الواحد:

لا يجب التدين بقول الرسول في غير الأمور الدينية:

قال الشيخ محمد حسن الاشتياني في كتابه (بحر الفوائد في شرح الفرائد) ج ١ ص ٢٦٧:

«إن الرسول قد يخبر عن الشيء باعتبار كونه شارعاً ومبلغاً عن الله سبحانه ومأموراً بتبليغه إلى العباد، وقد يخبر لا من هذه الحيثية، بل يخبر عن شيء لا دخل له بشريعة سيد المرسلين مثل كيفية خلق السماوات والأرض، والحور والقصور، وما إلى ذلك مما لا يرجع إلى الإخبار عن الأمر الديني. فما كان من هذا النوع فلا إشكال أنه لا يجب التدين به بعد العلم به - أي بعد العلم بصدوره عن الرسول - فضلا عن الظن به».

هذا نموذج من اجتهادات الشيعة التي أوردها رئيس المحكمة الشيعية العليا ليقوّي بها ثقة علماء السنة بالشيعة وتفكيرهم. وقد أراد أن يزيد علماء أهل السنة علماً بهذا المجتهد الشيعي وكتابه الذي نقل منه هذه الفتوى الشيعية فقال في ص ٣٦٩: «كان هذا الشيخ الجليل (يعني محمد حسن الاشتياني) من علماء القرن الثالث عشر الهجري، وهو من كبار مراجع الشيعة الإمامية، وكتابه هذا بحر الفوائد المعروف بحاشية الاشتياني على الرسائل يقع في مجلدين، طبع في إيران بالطبع الحجري سنة ١٣١٥ هجرية، وموضوعه الأصل الرابع من أصول الفقه، أي الأدلة العقلية على الأحكام الشرعية».

إذن فهذا الاجتهاد الشيعي أو الفتوى الشيعية لرجل يعده الشيعة الإمامية من كبار مراجعهم، والنص منقول من كتاب له في أصول الفقه، وهو يعد ما ثبت صدوره عن

مكتبتنا العربية

النبي ﷺ من أمور الغيب كوصف الجنة وخلق السماوات والأرض ليس من الضروري تصديق النبي ﷺ به ، لأنه في زعمه مما لا يرجع إلى الإخبار عن أمر ديني ، أي أن « الغيب » ليس عنده من الأمر الديني ، و « الإيمان بالغيب » ليس عنده من الإيمان الإسلامي ، والنبي ﷺ إذا أخبر عن مثل هذا من أمور الغيب - وإن ثبت العلم بصدوره عن الرسول - فإنه لا يجب التدين به ، أي بصدق الرسول فيما أخبر به من هذه الأمور .

وهذه الفتوى الشيعية تنافي الاعتقاد بعصمة النبي ﷺ ، ومن العجيب أن يرتاب في عصمة خاتم النبيين من يؤمن بعصمة طفل دخل السرداب قبل ألف سنة وينتظر خروجه منه بعد مر كل هذه العصور !

إن الجرأة على الإسلام بمثل هذا القول الواضح المكشوف لم يسبق صدورها عن فرقة من فرق الإسلام مهما كان موضعها من دركات النار .

* * *

وفي هذا العدد نفسه (ص ٣٧٦ — ٤٠٢) مقالة أطول من ليالي الشتاء لكاتب نعتته المجلة بأنه « الكاتب الكبير » ، يدعو في ص ٢٩٢ — ٢٩٣ منها إلى أن تفهم الأمة الإسلامية من معنى قول الله عز وجل « وأمرهم شورى بينهم » أن لأية أمة إسلامية أن تؤلف جمعية تشريعية تملك أن تنسخ ما تشاء من أحكام القرآن ، لأن آية « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » لم ينته حكمها بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كما تبادر إلى ذهن بعضهم ، كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة والسلطة ، وليس الله . « هكذا يقول كاتبهم الكبير بالحرف الواحد » . نعم كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم غدا التشريع إلى الأمة انتهاء . لأن الله سبحانه — رحمة بالناس — هو الذي رد هذه السلطة إلى الأمة حين قال « وأمرهم شورى بينهم » . ثم ألا ترى أن حق الله يفسره الفقهاء دوما بأنه حق الجماعة » .

هذا نص كلام كاتبهم الكبير بالحرف . ومن المدهش تعليق تلك المجلة عليه بقولها : « لعل السيد الكاتب يتفضل بتوضيح رأيه في النسخ وجواز أن يكون في القرآن ، وأن يقع بحكم من الأمة بعد الرسول ﷺ » . فهي لم تكتف بهذا الكلام الواضح الذي يرمي إلى تقويض الإسلام من أساسه الأعظم ، ولا تزال تغري صاحبه بأن يستأنف القول فيه لتزداد المجلة علما بهذه المعارف ، ولتمعن في نشرها على قرائها منتهزة فرصة غفلة الناس عنها .

م . خ

مكتبتنا العربية

أثر العقيدة فى نفوس المسلمين

يرى الناظر اليوم فى أفق الإسلام طالعاً من السعد ينبثق ضوءه من خلل السحاب ويلوح سناه من سجف الظلام .

ويرى المتأمل اليوم فى حال المسلمين أن نفوسهم توثبت إلى العمل ، وأن إحساسهم بالحياة قد شغل أفكارهم وعقولهم .

ذلك أن أعصابهم قد سرت فيها موجة من اليقظة نبهت المشاعر ، وأرهفت الاحاسيس وأن شرايينهم التى كانت بطيئة النبض قد جرت فيها دماء الحياة الفوارة فأكسبتها القوة ، وأورثتها الحركة ، ووهبت لها النشاط .

وإذا شعرت الأمة بالألم الذى يتمشى فى عظامها ، وأحست بالداء الذى ينساب فى كيانها فقد انبلج صبحها ، وانبثق ضوؤها ، وأشرقت شمسها .

وإن من يقارن الآن بين مسلمى القرن الماضى ومسلمى القرن الحاضر فإنه — من غير شك — يعلم أن جيل اليوم قد نفض عنه غبار الكسل ، وطرح عنه رداء الذل ؛ وأن أمته التى تمتد جذورها إلى أعماق الماضى لا بد أن تعود إلى مكانها من صدر الوجود ، ولا بد من ربيعها وإن طال الخريف .

حقاً إن أشبال الفاتحين الذين دوخوا الأمم وغيروا وجه التاريخ ، وأطاحوا الملوك وثلوا العروش ، قد هبوا الآن يطلبون عز الحياة بعز المهات ، ويفضلون شرف البقاء بشرف الكفاح .

وإن أسباب هذه اليقظة التى سرت سريان الكهرباء فى نفوس المسلمين ، تلك العقيدة الدينية التى غرسها الإسلام فى قلوب ذويه ، فأورثتهم القوة والثبات ، والمضاء والإقدام وذلك القانون السماوى الذى اجتث من نفوس بنيه خور العزائم وجبن القلوب ، والإقامة على الضيم ، وسلك بهم مسالك العز ، وسبل الكرامة ، وطرق البطولة .

وإذا كان للأمة عقيدة ثبتت أصولها ، وقانون أحكمت آياته . فإنها تكون لفواد الإنسانية مثلا مضروبا ، يلهم الصبر على مكاره الأمور ، والاستمساك فى مزالق الفتنة ، والاستبسال فى مواقف المحنة ، والاستشهاد فى سبيل الغاية ، والطموح إلى المقصد وإن طال وقته وامتد زمانه .

وإن أمة ألقت على الأمم دروس الحضارة ، وبعثت فى الشعوب أضواء المعرفة ، ووصلت إلى المدنية بعقيدتها ودستورها لن تغيب شمسها ، ولن يأفل نجمها ، وان يخبو ضوءها .

مكتبتنا العربية

وإذا كان بعض من السحب كونه الإهمال فى سماواتها ، وابده التواكل فى آفاقها ، فإن نفحة من نسيم تلك الحياة الكامنة فى نفوسها كفيلة بأن تذهب تلك الغيوم ، وترجع لها الصفاء والضياء .

لقد جاهد المسلمون الأولون على ضوء عقيدتهم وكتابهم جهاد الأبطان المغاوير حتى وصلوا إلى رغباتهم من الفتح ، واستتب لهم هذا الملك الواسع الذى ترن فى أجوائه كلمة التوحيد ، وترفرف فوق ربوعه راية الإسلام .

ولقد لحقهم فى سبيل ذلك شدائد عظيمة ، وأهوال جسيمة ، فكان من الضرورى بعد ذلك أن يأخذ ذلك الجيش المجاهد المكدود راحته ، وأن يستقر حتى يجدد قوته ، ثم يستأنف المسير إلى الغاية المرجوة والأمل المنشود .

فكل ما شوهد من وقوف فى حركة الجهاد الإسلامية فى القرون الاخيرة إنما هو إناخة فى الطريق كما يفيخ المسافر بعد الضرب فى الفيافى حتى إذا أخذ حظه من الراحة ارتحل بالزاد ، واستأنف المسير .

وإذا قال قائل : إن الفترة التى أناخ فيها المسلمون قد طال أمدها حتى استحالت إلى استنامة ، وإن استنامة الأمم مقدمة الزوال وسبيل الفناء .

إذا قال ذلك ، قلنا له : قد يكون ذلك صحيحا لو أن الأمة الإسلامية لديها من مسببات الفناء ، وعوامل الزوال ، ومعاول الهدم ما لدى الأمم البائدة .

ولكن أمة يؤازرها الخلق ، وتظاهرها الفضيلة ، وتجملها العقيدة ، ويرشدها الكتاب ، لن تطوى صحيفتها ، ولن تمحى آثارها ، ولن يتقوض بناؤها .

وإلا لكفى قرن واحد من القرون الخمسة الماضية التى وقفت فيها وقفة المدافع أمام هجمات الأعداء ، لدرجها فى أكفان الموتى ، ودفنها فى مقابر الأمم الزائلة ، ووضعها فى سجل الذاهبين .

إننا إذا رجعنا إلى التاريخ وقرأنا أخبار الشعوب التى مال ميزانها ، وأحصينا عدد السنين من ابتداء زوالها إلى مغيب شمسها ، ثم قابلنا بينها وبين الأمة الإسلامية التى يزعم بعض الاجتماعيين أنها شرعت تزول ، ـ إننا إذا فعلنا ذلك علمنا أن تلك الشعوب قد أسرعت إلى الفناء سرعة الماء من مصبه إلى منحدره ، وأن أسباب فنائها هو الحرمان من العلم والفضيلة ، والانغماس فى الجهل والرذيلة ، والتجرد من العقيدة الخالصة ، والدستور المستقيم . ذلك أن الأمم إذا هى لم تطر بجناحين من العلم والمعرفة ، ولم تستند على ساقين من التربية

مكتبتنا العربية

والخلق ، ولم تسترشد بهديين من العقيدة الصافية ، والأحكام النافعة ، ـ إذا لم يكن لها كل ذلك كان انزلاقها سريعاً ، وسقوطها وشيكا :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويـــلا

وإن الأمة الإسلامية قد توفر لديها من العلم والفضيلة ، والخلق والعقيدة ، والحكم والأحكام ، ما حومت به فى سماء المعالى زمانا طويلا ، وطارت به فى آفاق الكمال دهرا مديدا ، وملكت به ناصية الوجود .

وإذا كان هذا شأنها فمحال أن تتخاذل اليوم فى مشيتها وفيها كل هاتيك المميزات ، ولو كان طريقها مملوءا بالحسك والقتاد .

وإذا تساءل بعض الناس عن سبب تلك اليقظة التى اهتزت بها اليوم أعصاب المسلمين ، ونبهت منهم المشاعر والأحاسيس ، قلنا له : إن السبب هو احتكاك الأمم الطامعة بالأمم المطموع فيها ، واعتداء الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة ، وطرح العهود والمواثيق ، ونسيان الحقوق ونبذ الواجبات .

كل هذا قد حرك عقولهم بالتفكير فى أقوم الطرق التى تتقى بها الخطوب ، وأنجع السبل التى يدفع بها العدوان ، وعاد بهم إلى الاعتصام بدينهم ، والاهتداء بدستورهم ، والاستمساك بهدى نبيهم .

ولو لم يقرءوا فى آيات كتابهم سوى قوله تعالى : « واعتصموا بحبـــل الله جميعا ولا تفرقوا » ـ وقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ـ وقوله : « إنما المؤمنون إخوة » لكان ذلك كافيا فى إنشاء وحدتهم ، وتدعيم قوتهم ، وتوحيد صفوفهم توحيدا يصد كل اعتداء ، ويبدد كل لأواء ، ويرد كل عاصفة هوجاء .

وإذا لم يقرءوا سوى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ـ وقوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ـــ وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » ـــ أقول : إذا لم يقرءوا غير هذا لكان كافيا فى دفعهم إلى الأمام ، وهبوبهم فى وجه من يحاول اغتصاب حقوقهم هبوب العاصفة الذارية ، والغارة الجائحة .

وهاهم المسلمون اليوم أمام مايعترضهم من النكبات ، وأمام ما يوجه إليهم من اعتداءات قد تقاسموا على الائتمار بأوامر كتابهم ، والعمل بكل ما يحثهم عليه من جهاد وتضحية حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحيم فرغل

مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

إن من ينظر فى تاريخ المسلمين فى القرون الأولى ، يرى فيه ظاهرة من ظواهر الأمم المتقدمة ، وهى البحث الفكرى والإنتاج العلمى . فقد كان همهم الدرس والبحث والنقد والابتكار ، فقد ابتكروا علوما وجددوا فنونا ، وما بين أيدينا من ميراث علمى فى النحو والصرف والعروض والبلاغة والفقه وأصول الفقه وأصول الدين وعلوم التفسير والحديث والفلسفة ، هو من إنتاجهم وابتكارهم .

ثم خلفت خلوف تركوا الإنتاج والابتكار والنقد ، ووقفوا عند ما ترك الأولون : لم يزيدوا حرفا ، ولم ينقدوا رأيا ، ولم ينتجوا قاعدة ، هذا العقم فى العقل والجدب فى الفكر مرض من أخطر الأمراض يجب علاجه ، لأن الأمم إنما تتفاضل بعقولها ، وتمتاز بالإنتاج العقلى والبحث الفكرى ، والأمم التى تخصب عقولها ويكثر إنتاجها العلمى هى التى تعرف مجهولات الطبيعة وتسير على هدى فى هذا الوجود ، والأمم التى تجدب عقولها ولا تثمر أفكارها ، لا تفهم نفسها ولا ما حولها وتتخبط فى هذه الحياة . وقد رأت المجلة أن تطب لهذا الداء بفتح باب من النقد تعرض فيه فكرة ما وتتناولها الأقلام بالتفنيد أو التأييد . وهذا فيه تمرين عظيم على البحث والإنتاج ، ويدعو القراء إلى إعمال عقولهم ، وكد أفهامهم لتبين الحق ومعرفة الصواب .

وقد بدأنا بنشر بعض بحوث لمدير المجلة فى علوم البلاغة تحت عنوان :

« علوم البلاغة فى الميزان » وسيرى القارىء أنها إبطال لبعض القواعد البلاغية التى قررها الأولون واعتمدها المتأخرون ، وهو مما يدرس فى دور العلم المختلفة من الأزهر والجامعة ، ووزارة المعارف . ومن أجل ذلك ستتوفر الدواعى على معرفة هذا النقد والنظر فيه والعمل على إبطاله أو تأييده ، لأنه ينقد تراثاً علمياً عظيما ورثوه عن آبائهم وهو عزيز عليهم ، فهم يحامون عنه ، ويذودون من رماه ، ولأن ما يبطله عمل اتفق عليه علماء البلاغة فهل يند

مكتبتنا العربية

الصواب عن هؤلاء جميعا ويعرفه واحد ؟ ومن هم هؤلاء الذين أجمعوا عليه ؟ هم المتقدمون من عهد السكاكى إلى الآن .

فلو كان رأى فرد أو جماعة لجاز أن يدخل فيه الخطأ ، أما وهو رأى العصور المختلفة والأجيال المتعاقبة ، فمن العجب أن يدخل عليه الخطأ كل هذه حركات نفس ونزعات فكر تدعو الدارسين والباحثين إلى أن يستقبلوا هذا الباب بالاهتمام والنقد والتعليق ، وإذا كان ذلك ، أدركنا ما أردنا من تنشيط العقول وحفز الهمم للبحث والابتكار ، والله المستعان .

علوم البلاغة فى الميزان

فى علوم البلاغة العربية ، مجال للبحث ومواضع للنقد ، ففيها بعض الخطأ مما يجب التنبيه عليه وإصلاحه ، ليتعاون المفكرون على تنقية هذه العلوم ، ونحن سنمثل ببعض أمثلة من العلوم الثلاثة : المعانى والبيان والبديع .

(١)

إنى لأعجب لهؤلاء الكاتبين فى البلاغة من المتأخرين ، يعمدون إلى أسباب الحسن فى الكلام التى هدى إليها المتقدمون ، فيعللونها بغير عللها النفسية ، ويسوّون بينها وبين غيرها ، حتى يصرفوا الذوق عن الإحساس بها وعن تذوقها ، كأنهم قد تواصوا فيما بينهم على أن يفسدوا هذا العلم إفسادا ، حتى لا يبقوا فيه شيئا صحيحا .

هُدِىَ المتقدمون - كعبد القاهر - إلى أنه قد يوجد شىء فى النظم فيكسب الكلام حسنا وجمالا ، كالحذف فإنك تحس من الكلام ، المحذوف منه بعض أجزائه ، فى بعض الحالات ، جمالا لا يكون إذا أنت ذكرت المحذوف ، ومثل لذلك بقوله :

قالت سمية قد غويت بأن رأت ... حقا تغاوب ما لنا ووفودا
غىٌّ لعمرك لا أزال أعوده ... ما دام مال عندنا موجودا

وقوله :

تشاءب حتى قلت داسع نفسه ... وأخرج أنيابا له كالمعاول

وقوله :

غضبى ولا والله يا أهلها ... لا أطعم البرد أو ترضى

مكتبتنا العربية

وقـــوله :

وعلمت أنى يوم ذا ك منـازل كعبا ونهـدا
قـــوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقـا وقـــدا

وقال عبد القاهر : هذا باب يشبه السحر ، لأنك تراك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأشد ما تكون بيانا إذا لم تبن ، إلا أن عبد القاهر بين أن فى الحذف حسنا ولم يبين سبب هذا الحسن وعلته ، واكتفى بأن يعرض علينا الشيء الجميل ، ويضع أيدينا على موضع الجمال فيه وهو الحذف ، وبين أننا لو ذكرنا المحذوف لما كان للكلام ذلك الحسن ، فأما العلة فى ذلك فلم يذكرها . ونحن إذا رجعنا إلى نفوسنا ، نجد أن العلة فى حسن الحذف فى هذه المواضع أمور نفسية ، وهى أن المحذوف تدل عليه قرائنه ، فإذا ذكر كان ثقيلا موضعه ، لأنه تعريف لما عرف ، وبيان لما بين . وإذا حذف رفعت المؤنة عن السامع بذكره ، ورفعت الكلفة التى يكون عليها عند ما يسمع حديثا معادا ، أو كلمة لم يجد فيها فائدة جديدة .

وبالجملة فالكلمة الخالية من الفائدة ، كالقبيل تقذى العين بوجوده ، فإذا لم تبصره فى موضع كان يتوقع وجوده فيه وجدت لذلك من الأنس والمحبة ما يغمر القلب سروراً . وإذا أردت أن تتبين شيئا شبيها بذلك ، فاستمع إلى رجلين أحدهما يطيل فى الكلام ويذكر مالست بحاجة إلى ذكره ويطيل فى غير طائل ، والثانى يهجم بك على الفائدة من أقصر طريق ، وكلما سار بك جدد لك فائدة . فإنك تجد للأول ثقلا على القلب وضيقا فى النفس ، وتجد فى الثانى خفة وتجديد سرور ولذة .

وشيء آخر ، وهو الهجوم بالسامع على المطلوب دفعة ، فإن مطلوبه فى مثل :

قال لى كيف أنت ؟ قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

معرفة حاله فإذا قال عليل — فقد هجم به على المطلوب وكفاه مؤونة الانتظار . هذا ما نجده فى نفوسنا عند ما نسر لحذف كلمة ، ونبحث عن علة هذا السرور وهذا الارتياح .

وشيء آخر - هذه الجدة التى تراها فى هذا الأسلوب ، فإن الناس قد اعتادوا الأسلوب الذى لم يحذف منه شيء لكثرة دورانه فى الكلام ، ولم يعتادوا الأسلوب الذى حذف منه أحد جزأى الإسناد ، لقلة دورانه فى ألسنتهم فإذا سمعوا الكلام المحذوف منه شيء ، سمعوا الجديد الذى لم يألفوه ، والبدع الذى لم يعتادوه ، فاستمتعوا منه بما يستمتعون من الجديد

مكتبتنا العربية

المبتدع ، والغريب المبتكر ، وليست هذه الجدة فى السمع فحسب ، بل هى جدة فى الفكر ، فقد كنت تتلقى المعانى من الألفاظ فعدت تتلقاها من العقل ، يدل عليها ويشير إليها ، وإن ذلك ليروعك ويؤثر عليك وإن كنت لا تدرى مأتاه ولا مصدره .

جاء السكاكى والخطيب ومن بعدهما ، وأبوا أن يكون للحذف مزية على الذكر ، وجعلوا الحذف فى موضعه كالذكر فى موضعه ، وجعلوهما حالين من أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، فيحصلان البلاغة ، ثم ذهبوا يبحثون عن المقامات التى تقتضى الذكر أو الحذف فقالوا : أما حذف المسند إليه فللاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من اللفظ أو العقل ، أو اختبار تنبه السامع ، أو مقدار تنبهه ، أو صونه عن لسانك أو صون لسانك عنه ، أو تأتى الإنكار عند الحاجة ، أو ادعاء تعينه ، وجعلوا للذكر مقاما ، وهو أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه أو الاحتياط لضعف التعويل على القرينة ، أو التنبيه على غباوة السامع ، أو زيادة الإيضاح والتقرير ، أو إظهار تعظيمه أو إهانته أو التبرك بذكره ، أو استلذاذه ، أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب .

فأنت تراهم سوّوا بين الذكر والحذف عند المقتضى ، وقد كان يفهم من كلام عبدالقاهر أن للحذف مزية لا تكون لغيره ، ولو مشينا على ما مشى عليه عبد القاهر لعلمنا اختصاص الحذف بهذه المزية ، ودعانا ذلك إلى مراعاة الحذف فى أساليبنا ما وجدنا إلى ذلك سبيلا .

ونراهم قد ذهبوا عن العلل الحقيقية لجمال الحذف — وهى ماذكرناها — إلى العلل التى ذكروها ، وبعض هذه العلل صناعية لا تخطر إلا ببال الذين توغلوا فى صناعة العلوم العقلية ، كتخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، وبعضها لا يخطر للبليغ المتكلم ولا للسامع ببال ، أما العلل التى ذكرناها فهى علل نفسية قد يشعر المرء بآثارها ، ولا يدركها ، ولكن الفلسفى العارف بخفايا النفوس يدركها ويؤمن بها .

ولقد رغبت أن أحمل كلامهم ما ذكرته من المعانى فقد قالوا : « وأما حذفه فللاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ » . فقلت قد قالوا « الاحتراز عن العبث » ، وهذا يؤدى إلى الاستثقال ، والحذف يؤدى إلى رفع هذا الاستثقال .

وقد لحظوا فى قولهم تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، أن الدلالة على المحذوف عقلية ، ولكننى رأيتهم يرعون فى غير هذا الجانب . فقد قال صاحب المطول فى شرح

مكتبتنا العربية

ذلك : « فللاحتراز عن العبث ، إذ القرينة دالة عليه فذكره عبث ، لكن لا بناء على الحقيقة فى نفس الأمر بل « بناء على الظاهر » وإلا فهو فى الحقيقة الركن الأعظم من الكلام فكيف يكون ذكره عبثاً ، وقيل معناه أنه عبث نظراً إلى ظاهر القرينة وأما فى الحقيقة فيجوز أن يتعلق به غرض ، مثل التبرك والاستلذاذ والتنبيه على غباوة السامع ونحو ذلك » ،

(٢)

لى من فلان، صديق حميم لئن سألت فلانا لتسألن به البحر. لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد .

هذه الأمثلة فيها جمال وبلاغة ، ويحس المرء بطرب لايجده إذا قال فلان صديق الحميم أو فلان كالأسد أو كالبحر . وقد أحس علماء البلاغة هذا الجمال فذهبوا يحدون ويميزون ويعرفون أسبابه ، وأخيرا سموا هذا النوع الذى أحدث ذلك الجمال : « التجريد » ، وقالوا فى تعريفه ما يأتى :

التجريد أن ينتزع من أمر ذى صفة ، أمر آخر مثله فيها ، مبالغة لكمالها فيه ، فقولنا « لى من فلان صديق حميم » يؤخذ منه أن فلانا بلغ من الصداقة حدا صح معه أن ينتزع منه آخر مثله فى الصداقة ، وكذلك « لئن لقيته لتلقين به الأسد » يؤخذ منه أنه بلغ من الشجاعة حدا يصلح معه أن ينتزع منه أسد مثله فى الشجاعة ، وذلك لكمال الشجاعة فيه . وكذلك « لئن لقيته لتلقين به البحر » يفيد أنه بلغ من الكرم حدا صح معه أن ينتزع منه بحر مثله فى الكرم وذلك لكماله فى الكرم ...

وهذا تصور غريب لهذه الأمثلة التى فيها هذا النوع من البلاغة ، فلم تجر عادة ، أن المرء إذا بلغ حداً من الكرم ، صح أن ينتزع منه بحر مثله فى الكرم وذلك لكماله فيه . وليت شعرى ما هذا الانتزاع ؟ أهو بطريق الولادة ، أم بطريق آخر كانتزاع الصخر من الجبل ، أم كانتزاع الثوب من اللابس .

هذه الحالة لاتدل على كرم ولاعلى مبالغة فيه ، فما عهد أن الكريم إذا بلغ فى الكرم المبالغ العظيم ، انتزع منه بحر يساويه فى الكرم .

وإن فهم هذه الأمثلة على هذا الوجه يضيع بلاغتها ويفسد معناها ويجعله تصورا كتصور البله والمغرورين ، كريم يلد بحرا ، أو شجاع يشتق منه أسد ، وصديق ينتزع منه صديق .

وقد كنا نفهم من هذه الأمثلة قبل أن نعرف التجريد فى علوم البلاغة أن فيها حذفا :

مكتبتنا العربية

لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، الأصل لتلقين بلقائه ، أى بسبب لقائه ، الأسد فحذف لقاء ، وإنما كنت تلقى بلقائه الأسد ، شبيهه لأنه فلست تلقى بلقائه إلا أسدا ، وما الجمال فيه إلا من جهة أنه أعطاك التشبيه بطريق مكنى عنه ، لم يصرح به ، وأنه صوره بصورة الأسد ، حتى كأنك تحسه وتراه . ولست تجد أحدا له ذوق فى البلاغة يفهم من هذه الأمثلة إلا ما قدمناه ، وهو المعنى الذى يخطر لأول نظرة ، ولكن علماء البلاغة يأبون إلا أن يجعلوه تجريدا وتوليد شىء من شىء . ولم يلده ، وانتزاع شىء من شىء لم ينتزع منه .

ومن عجب ، أن هذا المعنى المتبادر قد شعر به بعض العلماء فذكره وأبان أن أمثلة التجريد مبنية على الحذف ، فأنكره العلماء المتأخرون وقاوموه ودفعوا فى صدره حتى لم يبق إلا هذا المعنى السخيف الذى ينكره الذوق وينبو عنه الفهم ويجعل الأسد منتزعا من الشجاع والبحر متولدا من الكريم وذلك مبالغة لكمال هذه الشجاعة فى هذا الشجاع وكمال الكرم فى هذا الكريم .

(٣)

« رأيت اليوم حاتما ، ولقيت ماذرأ ، وسمعت سحبان ، وكان فى المجلس باقل » ، هذه مثل تدور على ألسنة المتكلمين ، والغرض منها التشبيه ، تشبيه الممدوح بحاتم فى الكرم ، وبسحبان فى الفصاحة ، وتشبيه المذموم بماذر فى البخل ، وباقل فى الفهاهة - ولكن علماء البلاغة لا يقتصرون على ذلك بل يتأولون فى حاتم فينتزعونه من معناه وهو العلمية على الرجل المعروف من طيء ، ويجعلونه كأنه موضوع للجواد سواء أكان ذلك الرجل المعهود من طيء أم آخر غيره ، فبهذا التأويل يكون حاتم متناولا للفرد المتعارف المعهود والفرد غير المتعارف ، وهو من يتصف بالجود ، لكن استعماله فى غير المتعارف يكون استعمالا فى غير ما وضع له فيكون استعارة .

وإنما فعلوا ذلك ليحافظوا على الأصل الذى وضعوه ، وهو أن الاستعارة تقتضى إدخال المشبه فى جنس المشبه به ، بجعل أفراده قسمين : متعارفا وغير متعارف ، ولا يمكن ذلك إلا فى اسم الجنس ، ولا يمكن فى الأعلام لأن العلم وضع لذات مخصوصة لا يتناول غيرها ، فلهذا ارتكب هذا التأويل فيجعل العلم اسم جنس ليمكن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به .

مكتبتنا العربية

ويرد هذا الذى ذهب إليه البيانيون ، أنه ليس من أحد يتكلم بهذه الأمثلة يقصد هذا الذى قالوه ، ولا يفهم أحد ممن يسمعها هذا المعنى الذى ذكروه ، فما من أحد يقول : رأيت اليوم حاتما ، ويدور بخلده أنه شبه ثم تأول حاتماً ننزعه من العلمية ، وجعله كأنه موضوع للكريم الجواد وصار له فردان : فرد حقيقى هو ذلك الجواد من طيء ، وفرد ادعائى هو ذلك الممدوح إلى آخر هذه الصورة .

وليس أدل على فساد هذا الرأى من أنه دعوى لما لا يخطر بذهن متكلم أو سامع ، فنحن نشرح أقوال المتكلمين بما يريدون ويعنون ، وكل هذه السورة لا تخطر إلا بأذهان هؤلاء البيانيين الذين اخترعوها .

ضع يدك على أى بليغ ما تختاره وسله : ماذا يريد بقوله « رأيت حاتما اليوم » ، فإنه يجيبك : أردت تشبيه هذا الكريم بحاتم فى جوده وكرمه .

وسله أهو تأول فى حاتم وأراد منه مطلق جواد ، وأنه صار يشمل حاتم طيء وهذا الجواد الممدوح ؟ فإنه ينفى ذلك كله ، ويقسم أنه لم يرد شيئاً من هذا ، ولم يرد إلا التشبيه بحاتم فى الجود .

على أنه إذا كان معنى حاتم الجواد فلا استعارة ، لأن الجواد يطلق على سبيل الحقيقة على الممدوح ، بخلاف أسد فى قولنا : « رأيت أسداً يرمى » ، فإنه لا يطلق على الممدوح على سبيل الحقيقة فكان استعارة . وهذا التكلف العظيم ليحافظوا على أصل اخترعوه ، وهو أن الاستعارة تقتضى دخول المشبه فى جنس المشبه به . وهذا الأصل أوردوا هم عليه اعتراضاً ، وهو أنه كيف يدعى دخول المشبه فى جنس المشبه به ويقيم القرينة لتدل على أنه أراد المشبه لا المشبه به ؟ وأجابوا بأنه بعد الادعاء صار المشبه به فردان : فرد حقيقى وفرد ادعائى ، والقرينة قامت لتنفى الفرد الحقيقى وتثبت الفرد الادعائى ، فدخلوا فى باب آخر من الإغراب لم يرده متكلم ولم يفهمه سامع .

م . ع

مكتبتنا العربية

فلسطين العربية الإسلامية

١ — إن فلسطين بلاد عربية منذ أربعة عشر قرناً، وقد ظلت الموجات العربية قبل الفتح الإسلامي وبعده تتوالى عليها من آن لآخر؛ وإن الصبغة العربية راسخة فيها كل الرسوخ، وبرهان ذلك أسماء المناطق مثل: «مرج ابن عامر، وقرى» بني صعب، وبني زيد، والحارثية والقسطل، ووادي علي وجبل القيسية، وبني نعيم» إلى غير ذلك من أسماء الأماكن والقبائل والحمائل والعشائر العربية في مختلف أنحاء فلسطين. وكانت في فلسطين أشد الحملات الإسلامية لمقاومة الصليبيين بقيادة صلاح الدين ومن جاء بعده من الملوك والسلاطين المجاهدين، حتى أجلوهم عنها وعن سائر بلاد المسلمين، وبقيت إسلامية منذ ذلك التاريخ. وقد لبثت فلسطين تحت الحكم العثماني نحو أربعمائة سنة حتى احتلها الإنجليز سنة ١٩١٨

٢ — تبلغ مساحة فلسطين ١٠٤٢٩ ميلاً مربعاً، تساوي ٢٧ مليون دونم، وهي تؤلف القسم الجنوبي من سوريا «بلاد الشام».

أما حدودها الرسمية، كما كان الحال في زمن الاحتلال البريطاني، فمن الجنوب تحدها أراضي سيناء المصرية حتى رأس طابة على خليج العقبة، ومن الشرق نهر الأردن وأرض «مملكة الأردن»، ومن الشمال أراضي جمهوريتي سوريا ولبنان، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط.

٣ — كانت فلسطين حين الاحتلال الإنجليزي عربية الصبغة، وكان عدد سكانها ٧٥٠ ألفاً، منهم حوالي خمسين ألفاً من اليهود، فتكون نسبتهم إلى مجموع السكان نحو ٦٪، وجدير بالذكر أن عدد اليهود في فلسطين كان في سنة ١٨٤٥ اثني عشر ألفاً، وفي سنة ١٨٨١ نحو ٢٥ ألفاً.

ومنذ وقعت البلاد تحت الاحتلال البريطاني، فتح الانجليز أبواب الهجرة اليهودية على مصاريعها، حتى بلغ عدد اليهود في سنة ١٩٣٩ نحو ٤٠٠ ألف من «مليون و٤٠٠ ألف» مجموع سكان فلسطين. وتدل الإحصاءات الرسمية على أن عدد المهاجرين اليهود الذين وصلوا

مكتبتنا العربية

فلسطين منذ قامت حكومة إسرائيل سنة ١٩٤٨ إلى منتصف سنة ١٩٥٢، نحو ٦٥٠ ألفاً، وما زالت عشرات الألوف منهم تصل فلسطين تباعاً، رغم مايعانون من الأزمة الاقتصادية وقلة المساكن، لأنهم يريدون أن يصل عددهم إلى مليونين فى وقت قريب.

ثورات عرب فلسطين:

منذ الاحتلال الانجليزى سنة ١٩١٨ ومأساة فلسطين العربية الدامية تمثل فصولا يقوم البريطانيون فيها بدور الظالم المتجبر الغادر، واليهود يمثلون دور الطامع الوقح.

وقد ثار العرب على هذه المؤامرة الاستعمارية عدة ثورات دامية، فكانت ثورة القدس سنة ١٩٢٠، ثم ثورة يافا سنة ١٩٢١، وكان من أشد ثورات عرب فلسطين ثورتهم سنة ١٩٢٩، بدأت فى القدس ثم اشتعلت فى الخليل وصفد، ويافا، وحيفا، وغيرها من أنحاء فلسطين. وفى سنة ١٩٣٣ نشبت الثورة فى يافا والقدس وحيفا ونابلس. وفى عام ١٩٣٦ كانت الثورة الكبرى والإضراب العام الشامل اللذان استمرا ستة أشهر كاملة، ثم توقفت الثورة لتدخل ملوك العرب، فلما فشلت مساعيهم وخاب الأمل فيهم، عادت الثورة إلى الاشتعال سنة ١٩٣٧ واستمرت ملتهبة إلى صيف سنة ١٩٣٩، وفى هذه الثورات الدامية استعذب أهل فلسطين الموت فى سبيل الله، وضحوا بالنفس والنفيس، وكم بذلوا من أرواح غالية ودماء زكية، وكم لاقوا من عنت الإنجليز ومظالمهم، ولكنهم مع ذلك قد كبدوا البريطانيين وحلفاءهم اليهود خسائر كبيرة فى الأرواح والأموال، وأتلفوا للجيش البريطانى الكثير من قطاراته الحربية ومعداته العسكرية، حتى اضطرت انجلترا أن تبعث إلى فلسطين فى سنة ١٩٣٦ و ١٩٣٧ بجيش جرار وأسراب كثيرة من طائرات القتال والسفن الحربية، وعلى رأس ذلك المارشال ديل والمارشال وايفل من كبار قادة جيشها.

٤ — وتتمع فلسطين من البلاد العربية بموضع القلب، لأن البلاد العربية تحيط بها من كل الجهات، وموقعها العسكرى، الاستراتيجى، من أهم المواقع، وأشدها خطورة: فهى مفتاح بلاد العرب، وتتصل حدودها اتصالا مباشرا بمصر، وسوريا، ولبنان، والاردن، والحجاز، وإن قيام حكومة اليهود المعادية فى أرض فلسطين تهديد دائم وخطر شديد على البلاد العربية كلها، وذلك خطر ليس من الناحية العسكرية والسياسية فحسب، بل هو خطر

مكتبتنا العربية

اقتصادى واجتماعى ودينى ، لأن اليهود بفلسطين هم دعاة الشيوعية والفوضوية والإلحاد والإباحية . وأن الدول الاستعمارية المعادية للإسلام والعروبة قصدت من إقامة دولة لليهود فى قلب بلاد العرب ، تمزيق وحدة العالم الإسلامى والعربى ، وفصل أجزائه بعضها عن بعض أو فصل آسيا الإسلامية عن أفريقيا الإسلامية .

٥ — أما الوضع الحالى فى فلسطين فيلخص فى أن عصابات اليهود المسماة « بحكومة إسرائيل » ، قد أصبحت مسيطرة على القسم الأكبر من مدن فلسطين وقراها وأخصب أراضيها ومزارعها وبساتينها ، التى أجلى عنها مليون عربى ، باتوا لاجئين مشردين فى البلاد العربية ، ولم يتم ذلك بفضل قوة اليهود العسكرية ، وإنما تم نتيجة مؤامرة إنجلترا وأمريكا وغيرهما من الدول الاستعمارية التى أقامت هذه الدويلة المعادية فى قلب الأمة العربية نكاية بالمسلمين والعرب . ويدل على ذلك ما صرح به بن غوريون رئيس وزراء حكومة اليهود حيث قال : « إن ما أحرزناه من النجاح ٩٧½ ٪ منه يعود الفضل فيه للسياسة ، و٢½ ٪ منه فقط لجهودنا الحربية » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأما الأقلية العربية ، التى اضطرت للبقاء تحت حكم اليهود ، والتى يبلغ عددها نحو ١٧٠ ألفاً ، فهى تلاقى عنتاً وقسوة ومعاملة شديدة من سلطات اليهود .

وأما القسم العربى الباقى من فلسطين ، فهو خاضع لسيطرة الجنرال جلوب الانكليزى ، وإن كان تابعاً فى الظاهر لسلطة الأردن . وهذا القسم فى خطر شديد ، لأن اليهود يطمعون فيه قبل أى قسم آخر ، وهم إن لم يجدوا أمامهم القوة الدافعة المانعة فسيتابعون اعتداءهم وتوسعة مساحتهم على حساب البلاد العربية .

محمد صبرى عابدين
من علماء الأزهر الشريف
وأمين سر ديوان الهيئة العربية العليا بفلسطين

مكتبتنا العربية

لغو باب

المعمّى واللغز

(تابع مانشر فى العدد الماضى)

٢

٣ — وقد تقع التعمية فى الكلام من قِبل تأليف الكلم وتركيبها ، فيوهم التأليف غير المراد وتختلط الأصوات ، فتصبح الكلمتان مثلا كأنهما كلمة واحدة .

ومن أمثلة هـــذا قول الشاعر (١) :

دنانيرنا من قرن ثور ولم تكن من الذهب المضروب عند القساطر

فقوله (دنانيرنا) يوهم الدنانير الذهبية من النقد ، ولكن القارىء يعجب من قوله بعد : « ولم تكن من الذهب » ، فيلتمس للكلام وجهاً آخر وقد يوحى إليه بالمعنى قوله (من قرن ثور) ، وأياً ما كان الأمر ، فالشاعر يريد (دنا) أى قرب (نيرنا) أى النير الذى لنا ، والنير : ما يوضع فى عنق الثور أو الثورين فى جر الفدان ، والفدان هو ما يعرف فى لسان العامة بالمحراث ، أما المحراث فى العربية فهو ما يحرك به النار . ويعرف النير فى لسان العامة بالناف . ومما أذكره فى هذا الموطن أن أبا الفتح بن جنى دخل يوما ديوان الإنشاء فى بغداد ، فوجد أحد الكتاب وبين يديه كانون فيه نار والبرد شديد ، فقال له الكاتب : تعال أيها الشيخ إلى النير ، فقال أبو الفتح : أعوذ بالله ، النير هو صماد البقر ، والصماد : سداد القارورة ، كأن النير سداد للثور يمنعه من الانطلاق . وقد ذهب الكاتب فى النار مذهب الإمالة ، ولكن أبا الفتح نحا نحواً آخر تظرفا . والقساطر جمع القسطر ، وهو الصيرفى الناقد للمال .

---

(١) انظر اللسان فى (نير) والتاج فى (قسطر) .

مكتبتنا العربية

وقوله : (لم تكن) كذا بالتاء وهو يناسب الدنانير ، وكأنه روعى فى النير أنه أداة ، فأنث ليتم الإلغاز ، وفى التاج : « لم يكن » .

ومن أمثلته أيضاً قول تميم بن رافع المخزومى :

أقول لعبـــد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم [١]

والقارىء يبحث عما قاله لعبد الله فلا يراه فى البيت ، ويبحث أيضاً عن المسند إلى (سقاؤنا) ، ويبدو من قرن (هاشم) بعبد شمس أنه اسم رجل . وإنما يريد الشاعر : لما سقاؤنا ، وها : أى تخرق وتمزق ، فقوله (وها) فعل ، وحقه أن يكتب بالياء ، ولكنه كتب بالألف للإلغاز ، وقوله : (شم) أى شم البرق أى انظره عسى أن يعقبه المطر ، وهو مقول القول . وحاصل معنى البيت أنه كان مع صاحبه فى وادى عبد شمس فتخرقت القربة التى فيها الماء وأعوزهما ما يشربانه ، فقال لصاحبه : شم البرق عسى أن نغاث بالمطر .

ومنها ما أنشده أبو زيد :

وأطلس يهـــديه إلى الزاد أنفه أطاف بنا والليل داجى العساكر

فقلت لعمرو صاحبى ورأيته ونحن على خوص دقاق عواسر [٢]

الأطلس : الذئب ، وهو وصف من الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد ، وذلك لون الذئب . والخوص الدقاق يريد الرواحل التى قد جهدها السير ، وقوله (عواسر) فى ظاهره وصف (خوص دقاق) ، والعواسر من النوق التى ترفع أذنابها عند السير يكون ذلك من نشاطها ، وحينئذ فأين مقول القول ؟ وإنما يريد الشاعر : قلت لصاحبى : عوى الذئب ، فسر ، فلما التصق : عوى وسر ، نشأ الإيهام ، وقد كتب عوى بالألف للإلغاز .

ومنها قول الشاعر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا بردیه تصادفیه سخیناً [٣]

ويقال : كيف تجد الماء سخيناً ؟ إذا بردته . وهل هذا إلا ضرب من الإحالة ! وإنما يريد : بل رديه ولا تعافيه فستجدينه على غير ما ظننت ، ولما كانت اللام تدغم فى الراء فإن النطق

(١) أنظر اللسان فى (نير) ، والتاج فى (قسطر) .

(٢) انظر المغنى فى (لما) وشواهد المغنى البغدادى ٢/٣٠٨ والمزهر فى النوع التاسع ، والثلاثين

(٣) الخصائص : إجراء اللازم غير اللازم .

مكتبتنا العربية

يكون : برّديه ، وقد كتب هكذا كالنطق رغبة فى التعمية . ويروى أن هذا البيت عرض على أبى عثمان المازنى فأجاب :

أيها السائلون لى عن عويص حار فيه الأفكار أن يستبينا
إن لاماً فى الراء ذات ادّغام فافصلنها ترى الجواب يقينا

ومنها قوله :

إنّ هندُ المليحةُ الحسناء وأىَ من أضمرت لخلّ وفاء (١)

ويقال : كيف رفع (هند) وهى اسم إنّ ؟ وما ناصب (وأى) ؟ والجواب أن (إنّ) أمر للواحدة من وأى أى وَعدَ ، يقال فيه وأى يئى ، ويقال : يا هند إى ، وقد أكد بالنون فحذفت الياء لالتقاء الساكنين فصار (إن) وهند منادًى ، وقوله (وأى) مفعول مطلق لقوله (إنّ) ، أما (المليحة الحسناء) فهما وصفان للمنادُى .

ومنها قول الفرزدق :

يفلقن هاماً لم تنله سيوفنا بأسيافنا هام الملوك القماقم (٢)

والبيت فى ظاهره مشكل غير بين المعنى . وإنما المراد : يفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقم ، ولكنه زاد فى (يفلقن) الحرف (ها) وهو حرف التنبيه . ثم قال : منْ لم تنله سيوفنا ! وهو استفهام إنكارى ، فاختلط (ها) بكلمة (مَنْ) فنشأ (هاماً) ، ومن ثم جاء الإبهام والتعمية .

٤ — وقد تقع التعمية بعكس الضرب السابق . وذلك أن يؤتى بكلم يطلب أن يحل محلها عبارة لو فصلت لأدت معنى الكلم المسئول عنه ، ولكن التبست بالعبارة الواحدة من اختلاط الأصوات وتصاقب الكلمات . فيقال مثلا : ما مثل قولنا : قربت خشبتنا التى توضع على عنق الثور ، فيكون الجواب : دنانيرنا . وهذا الضرب يسمى التحاجى بالمقايضة ، وهو أن يؤتى بلفظ عوضاً عن لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد ، وعليه بنى الحريرى المقامة السادسة والثلاثين . ومن ذلك أن يقال : ما مثل النوم فات ؟ وجوابه : الكرامات

---

(١) انظر المغنى فى مبحث الهمزة .
(٢) الأمالى للقالى ١ / ٢٧٠

مكتبتنا العربية

والكرامات فى الظاهر جمع الكرامة ، ولكنها تفصل إلى الكرى وهو النوم ، ومات وهو فعل الموت ، فتساوى المسئول عنه ، وهو : النوم فات .

ومما أورده الحريرى :

يا من سما بذكاء فى الفضل وارى الزناد
ماذا يمائل قـــولى جوع أمـــدّ بزاد ؟

ومن أحاجيه قوله :

يا من يشار إليـــه فى الـ قلب الذكى و البراعـــه
أوضح لنا ما مثل قو لك للحاجى : دس جماعه ؟

وجوابه : طافية : وهى فى ظاهرها وصف مؤنث من طفا على الماء ، والمراد : طأفئة ، فخففت الهمزة فيهما .

٥ ــ وقد يقع المعمى فى الكلام من تقديم بعض أجزاء الكلم وتأخير بعض آخر ومخالفة النظم المألوف . ومن أمثلة هذا قوله :

معاوى لم ترع الأمانة فارعها وكن حافظاً لله والدين شاكر[1]

أى لم ترع شاكر ــ وهى قبيلة من همدان ــ الأمانة فارعها أنت يا معاوية .

ومن هذا قوله :

سألت ونحن فى البيداء عمرا على عجل ونحن نسير سيرا
فجاء به ولم يبخـــل علينا فقلت له : جزاك الله خيرا[2]

يريد : سألت عمرا سيرا ، أى سيرا من جلد .

ومنه قوله :

من نبات الكروم جاءت سلافا لم يدسها برجله العصارا[3]

يريد : جاءت العصار سلافا لم يدسها برجله .

---

(١) الخصائص ١/ ٣٣٠ (٢) شرح الأمية المعم للصفدى ١/ ٢٢٦
(٣) المرجع السابق ١/ ٢٥٨

مكتبتنا العربية

٦ — وقد تكون التعمية بإحلال الكلمة محل مرادفها . ومن هذا أن بعضهم سئل عن معشوق له فقال : هو أبو سفيان ، فقيل له : استعن عليه ببنت بسطام . أراد العاشق أن معشوقه صخر فى التمنع والقسوة ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب أبا معاوية رضى الله عنهما اسمه صخر . وأراد بمحاوره ببنت بسطام : الصهباء . وهى الخمر . وقد كان لبسطام بن قيس ابنة تسمى صهباء .

ويقول صاحب كتاب كشف الأسماء : « ومن بديع عمل الترادف ما يحكى أن رجلا وقف على المأمون فقال له : مسامعى ولد الظبى عين ماء السلطان ، ففطن المأمون لمراده واستدعى بالقرطاس وكتب إلى ناظر نهر الملك : اخترناك فصرّفناك ، واختبرناك فصرّفناك . وكان الرجل شكا من ابن غزال ناظر نهر الملك ، فعزله المأمون . فقوله : (مسامعى) أراد : آذانى . وقوله (ولد الظبى) أراد : ابن غزال . وقوله (عين ماء السلطان) أراد : ناظر نهر الملك . وهذا يعد من غاية ذكاء المأمون » . فترى أنه كنى بمسامعى عن آذانى التى هى جمع أذن ، ثم انتقل من هذا إلى آذانى الفعل من الإيذاء ، وكأن هذا تعمية بمرتبتين ، وأراد بولد الظبى : ابن غزال ، علم الإنسان ، وقال : (عين) وأراد الناظر ، وأراد بماء السلطان نهر الملك . وهذا عجيب حقاً .

٧ — وعند المحدثين ضرب من التعمية يكون بقلب حروف الكلمة . ومن هذا قوله :

يا أيها العطـــار أعرب لنـا عن اسم شىء قـــل فى سومكا
تنظره بالعين فى يقظـــة كما يُرى بالقلب فى نومـــكا

فقوله (بالقلب) يريد بقلب الكلمة (نومكا) وقلبها أن تبتدىء بعجزها ، فتأتى بالكاف والميم والواو والنون ، ويحصل من هذا كمُّون ، وإن كانت الميم فى كمُّون مشددة ، وهذا هو المطلوب .

٨ — ومن ضروب التعمية : التعمية ، فى الشعر . وهو أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسما — وتطلب الاهتداء إليه وإلى تأليفه . وهـذا صعب عسير . وقد عقد له أبو هلال العسكرى فصلا فى ديوان[1] المعانى ، وأبان طريقة استخراجه هناك ، ومن شاء أن يتوسع فى هذا فليرجع إليه .

(١) ج ٢ ص ٢٠٨

مكتبتنا العربية

٩ — ومن ضروب ، التعمية : التعمية فى الكتابة . فقد يلغز بالحركة والشدة إلى معنى بعيد . ومن أقوى الأمثلة على هذا ما ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة سديد الملك علىّ بن مقلد بن منقذ صاحب قلعة شيزر ، قال : « وكان موصوفاً بقوة الفطنة . وينقل عنه حكاية عجيبة . وهى أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر . وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس . فجرى أمر خاف سديد الملك على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام ، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده ، فتقدم محمود بن صالح إلى كاتبه أبى نصر محمد بن الحسين بن على بن النحاس الحلبى أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوّقه ويستعطفه ويستدعيه إليه . وفهم الكاتب أنه يقصد به شراً ، وكان صديقاً لسديد الملك ، فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى (إن شاء الله تعالى) فشدد النون وفتحها ، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن فى مجلسه من خواصه ، فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمودة فيه وإيثاره لقربه ؛ فقال سديد الملك : إنى أرى فى الكتاب ما لا ترون ، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب فى جملة الكتاب : أنا الخادم المقر بالإنعام وكسر الهمزة من (أنا) وشدد النون ، فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سُرّ بما فيه ، وقال لأصدقائه قد علمت أن الذى كتبته لا يخفى على سديد الملك ، وقد أجاب بما طيّب نفسى . وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » فأجاب سديد الملك بقوله تعالى : « إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها » فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه .

هذا والعناية بكشف المعمى واستخراجه قديمة . وفى معجم الشعراء [1] للمرزبانى ذكر محمد بن مخلد الكاتب ، وقال فيه : « معمى ، وكان من أحذق الناس بإخراج المعمى ، ومن المعنيين به أبو الحسن العروضى ، ذكره أبو هلال العسكرى . ومنهم أبو المعالى الحظيرى الوراق صاحب كتاب : « الإعجاز فى الأحاجى والألغاز » يقول فيه صاحب الخزانة : « وهو كتاب تكل عن وصفه الألسن ، فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » .

وقد توفر على البحث فى المعمى فى العصور المتأخرة علماء العجم ، كتبوا فيه بلغتهم ثم ترجموه إلى العربية ، وقد بقى لنا من كتبهم « كنز الأسما فى كشف المعمى » لقطب الدين المكى الحنفى ، رحل إلى مصر سنة ٩٤٥ هـ وهو مخطوط فى دار الكتب المصرية . ولصاحب الخزانة بحث جليل فيه فى ج ٢ ص ١١٣ وما بعدها . والله الهادى إلى سواء السبيل .

(١) ص ٤٢٦

محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

الاحتكار والربح الفاحش حرام كالربا

تحدث مندوب « الأهرام » الخاص إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن الأزمة المستحكمة التى تعانيها فى هذه الأيام المواد الغذائية الضرورية ، بسبب اختران بعض هذه المواد طلباً للربح الفاحش ، وطلب إلى فضيلته أن يوضح للناس حكم الشريعة السمحة فى مثل هذا الإجراء ، وقد تفضل فضيلته بإجابة هذا الطلب وقال :

إن الاحتكار الذى حرمه الله عز وجل هو إمساك شىء من الأغذية وضروريات الناس ، والامتناع عن بيعها انتظاراً للغلاء ، حتى إذا ازداد اضطرار الناس اليها تحكم محتكرها ببيعها بالسعر الفاحش الذى يفرضه عليهم .

وهذا العمل حرام شرعا ، ولا يعد من البيع الحر الذى أحله الله ، ولذلك كان الكسب منه كسباً خبيثاً لا يباركه الله عز وجل ولا يرضى عن صاحبه .

إن مثل المحتكرين كمثل المرابين من جهة استغلال الفريقين حاجة الناس وتحكمهم فيهم بسبب هذه الحاجة . غير أن المحتكرين يزدادون عند الله إثماً من جهتين : إحداهما أن استغلال حاجة الناس إلى الأقوات والأغذية وما أشبهها أفظع من استغلال الحاجة إلى النقود . والثانية أن استغلال المحتكرين لأقوات الناس وضرورياتهم يعم ضرره جماهير الناس ، أما استغلال المرابين لحاجة من يحتاج إلى النقود فإن نطاقه ضيق يخص عدداً قليلا منهم ولا يعم جماهيرهم ، فإذا كان المرابى يأكل ربحه من الربا ناراً فى جوفه لاستغلاله حاجة عدد محدود من الناس ، فالمحتكر يأكل ربحه من الاحتكار لهيباً من نار الجحيم بقدر ما ينال جماهير الناس من أذى جشعه الذى لن يبارك الله له بشىء منه .

وقد صح فى الحديث النبوى أن عاقبة المحتكر أن يضربه الله بالإفلاس ، أو بأخبث الأمراض وهو الجذام .

روى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى مسنده بإسناد صحيح ، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى المسجد فوجد طعاماً منثوراً ، فقال : ما هذا الطعام ؟ قالوا : طعام جلب إلينا . قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه . قيل : يا أمير المؤمنين فإنه قد احتكر . قال : ومن احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر . فأرسل أمير المؤمنين إليهما فدعاهما فقال : ماحملكما على احتكار طعام المسلمين؟ قالا: ياأمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من احتكر

مكتبتنا العربية

على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس ، أو بجذام . فقال فروخ عند ذلك : ياأمير المؤمنين أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود ـ أى إلى الاحتكار ـ فى طعام أبدا . وأما مولى عمر فقال : إنما نشترى بأموالنا ونبيع . قال أبو يحيى المكى راوى هذا الحديث : فلقد رأيت مولى عمر مجذوماً.

ومما يلاحظ فى هذا الحديث ، أن النبى ﷺ سمى الأغذية العامة المعروضة للبيع طعام المسلمين ، لأنه إذا كان للذى يشتريها ليبيعها حق الثمن الذى يشترى به ثم يتقاضاه فى البيع ، فإن إباحتها فى السوق من حق المسلمين لأنها طعامهم وغذاؤهم ومن ضرورياتهم ، فبيعها لهم بالثمن هو من حق رأس المال ، وأما إباحتها وعرضها فى السوق فهو من الحق العام الذى هو حق الأمة ، واحتكارها اعتداء على الحق العام وهضم لحقوق الأمة .

وفى مسند الإمام أحمد أيضاً عن سعيد بن المسيب أن معمر بن عبد الله بن فضلة القرشى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحتكر إلا خاطىء » . والخطأ فى الشرع الخروج عن سبيل الشرع ، وسبيل الشرع هو سبيل الله ، ويا ويل من يخطىء سبيل الله لأجل كسب حرام غير مشروع يستغل به ضرورات الأمة فى غذائها وقوت عيالها ، فيستحق عليه ما أنذره به النبى ﷺ من الإفلاس أو الأمراض الخبيثة ، ويعاقب عليه يوم القيامة بما يستحقه الذين يسخطون الله فى إيذاء مخلوقاته .

وروى الإمام أحمد أيضاً فى مسنده عن الحسن البصرى عن معقل بن يسار رضى الله عنه وهو من أهل بيعة الرضوان ، وهو الذى حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر بن الخطاب ، أنه لما ثقل المرض على هذا الصحابى الجليل جاءه أمير البصرة عبيد الله بن زياد يعوده ، فدار بينهما حديث ، ثم قال معقل رضى الله عنه : أجلسونى . ثم قال : اسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئاً لم أسمعه من رسول الله ﷺ مرة ولا مرتين ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم فإن حقاً على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة » . فقال عبيد الله لمعقل : أأنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غير مرة أو مرتين .

ومن هنا يعلم كل مسلم يتاجر فى المواد الغذائية والضرورية للمسلمين ، أن احتكارها ليس من البيع الذى أحله الله ، بل هو كسب حرام وأشد ضرراً على عامة المسلمين من المراباة والعياذ بالله . والنبى ﷺ قد أنذر مرتكبه بالإفلاس والأمراض وبنار جهنم يوم القيامة . فليعلم المحتكر عاقبة عمله قبل أن يقدم عليه .

مكتبتنا العربية

العناية بدراسة الإسلام
في جامعات العالم

لا أعجب لشيء عجبي لجهل هذه الأمم الغربية باجتماعيات الإسلام وما فيه من مبادىء قوية للحياة القارة والهناءة الإنسانية ، وللأمن والسلام الدولي والسلام المحلي . على حين أن هذه الشعوب الغربية الراقية قد بحثت كل شيء وتخصصت في كل شيء وبالغت الغاية في كل بحث إلا في شيء واحد ، هو دراسة الإسلام واجتماعياته وأدبياته وتشريعاته ، دراسة بأناة وإخلاص لمصلحة الحياة الإنسانية ، دراسة بريئة من التعصب المسيحي الذي خلفته الحروب الصليبية ودعمته مؤلفات باطلة منتشرة جعلت الهوة سحيقة بين الشرق والغرب ، وتركت آثارها التقليدية باقية في نفوس العلماء والباحثين بما بثته من ذلك في نفوس الناشئين في الكتب المدرسية . وعن هذه الهوة السحيقة بين الشرق والغرب . وتنافس الغرب في استعمار الشرق واستغلال خاماته وأسواقه وملايين الأيدي العاملة فيه ، نشأت تلك الحروب الطاحنة التي عاد ضررها على الغرب بأكثر مما قد يكون عاد على الشرق ، والتي لا تزال تضمر للعالم شراً ما حقاً يأتي على المدنية كلها — (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ، كل ذلك بسبب العصبية الوراثية عند العلماء الأوربيين ضد الإسلام ودراسته ، بينما هو دين اجتماعي بالمعنى الذي لا يوجد في دين آخر ولا في قانون ولا دستور من دساتير العالم .

فأين العلماء الباحثون الاجتماعيون من الأوربيين والأمريكيين ؟ وأين الدراسات الجامعية لتقتحم أسوار اللغة العربية ويدرسوا هذا القرآن الكريم ويبحثوا فيه عن عناصر السلام كما يبحثون الآن في طبقات الأرض عن عنصر الأورانيوم . ومعلوم أن اللغة العربية قد كانت لغة العلم في القرون الوسطى وما قبلها فلم لا تدرس ؟ .

ولعمر الله لعنصر السلام والإصلاح في طبقات القرآن أدنى منالا من عنصر الأورانيوم في طبقات الأرض وأعم نفعاً وأعمق رحمة بالإنسانية وأدفع للشر فيما بينها .

والعبرة في البحوث العلمية والتشريعية وفي الاكتشافات إنما هي بمعيار ما تؤدي للإنسانية من خدمة وما يبدو فيها من نفع عام ، ومتى يكون الميل إلى الخير أرجح من الميل إلى الشر في طبيعة البشر ؟

مكتبتنا العربية

وإذا كان القانون الرومانى فى سائر جامعات العالم ، يظفر بكراسى فيها ، وهو ما هو ، أفلا يظفر القرآن الإسلامى فى تلك الجامعات بمثل تلك الكراسى وتتفتح له عيون وتصحو له قلوب وتدرس اللغة العربية فى تلك الجامعات كما تدرس اللغة اللاتينية فيها ليتمكن العلماء الباحثون المنصفون من دراسة هذا الكتاب السماوى الحديث دراسة سليمة من التخبط الشنيع الذى وقع فيه كثير من المستشرقين ، لعاملين كبيرين لم يذللا فى الأوساط العلمية الأوربية : أولها ضعف المستشرقين فى اللغة العربية ضعفاً يضحك القارئين لبحوثهم ، والثانى غلبة التعصب الصليبى فى تلك الأوساط . وثالث وهو ما فى نفوس الكثير منهم من الالحاد والعداوة لأصل الأديان ، كل هذا حال بين المستشرقين وبين ما وجهوا أنفسهم إليه فخرجوا للناس فى أوربا بصورة مشوهة للإسلام تزيد فى بغضهم له ولأهله ، وبذلك ازدادت الفرقة بين الشرق والغرب .

ولو أن الجامعات العلمية خلعت عن أكتافها ثياب التعصب المسيحى ، واتجهت إلى هذا الركن من البحث فى الإسلام وعناصره وأهداف كتابه المقدس ، لرأت بعينى رأسها ما هى تجهله الآن ، وهو أن القرآن كتاب اجتماعى إصلاحى أكثر مما هو كتاب عبادة ودين بالمعنى الذى يفهمه البسطاء من العبادة والدين ، فآيات القرآن الاجتماعية أضعاف ، عشرات المرات ، من آيات الصلاة والصوم والحج ، إذ ضعفت عقول قوم عن هضم هذه العبارات وما فيها من أسرار للنفوس والمجتمع .

وبما أن الشرق والغرب الآن تلتحم فيهما العلاقات الدولية وترغمهما على الاتحاد والامتزاج والتضامن والتكافل فى درء الشيوعية والمبادئ الهدامة ، ويأخذان شكل جبهة واحدة ، والإسلام أشد إباء وصلابة ضد المبادئ الشيوعية ويعتنقه الآن أكثر من أربعمائة مليون مسلم . وقد جاء الوقت الذى يحتاج العالم إليه أشد ما يكون من احتياج .

فوجب نفض التعصب ضد الإسلام ، والانتفاع بمبادئه العالمية وكلها عالمية فى خدمة سعادة البشر ورفاهيتهم ، وهذا قول نبى من الأنبياء ، ويا قوم لا يجرمنكم شقاق أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ، فلا يجرمن قادة بريطانيا وأمريكا بغضهم للإسلام وازدراؤهم به أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط . وما الحربان العالميتان السابقتان منهم ببعيد . هذا إرشاد القرآن .

مكتبتنا العربية

وإذا كان العالم الآن على فوهة بركان بوشك أن يضطرب فيلتهم أمما ويمسحها عن وجه الأرض ، كأن لم تكن موجودة من قبل ، فلماذا لا يلجأون إلى كتاب مقدس بين أيديهم ينذرهم ويدعوهم إلى السلام ويقول « والله يدعو إلى دار السلام » ويقول « إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ١٠ - ٤٤ » ويقول « قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ١٠ - ٥٠ » ويقول « فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، قل فانتظروا إنا معكم منتظرون ١٠ - ١٠٢ » ولا شك أن الحرب الآنية هى حرب إبادة كما يعلمون .

والمشكلة الإنسانية الآن ، هى المشكلة الشائعة فى كل زمان ومكان ، وهى أن من يملك لا يعرف ومن يعرف لا يملك . فالمسلمون الآن فى أيديهم دستور حكيم عالمى يكفل الأمن والسلام للبشر ، ولكنهم لا يملكون تنفيذه لا فى بلادهم ولا بثه فى الروح الدولية العامة لضعف نفوذهم السياسى أولا ولتغلب الإباحية الفاجرة فى العالم المتحضر الغالب بتقاليده على الحياة العامة . والإباحية الفاجرة هى العدو رقم (١) للإسلام الذى جاء بصورة جدية عميقة لا يعرف الهوادة فى الشرور والفسق وما يسمونه الحرية الشخصية التى يعتنقونها فى الغرب كما يعتنقون الطعام والشراب « كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ١٠ - ٣٢ » ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ١٧ - ١٦ » والله يأمر الناس بالرشد والإنصاف فيما بينهم أفرادا وأمما ، وينهاهم عن الفسق والإباحية الفاجرة وهم يعصونه ويحاربونه فسيدمرهم - إن لم يتلافوا أمرهم - تدميرا كما دمر الأمم السابقة ، ونحن نعيش الآن فى ديارهم وأرضهم « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٩ - ٣٠ » .

وهنا أقرر وأنا مطمئن إلى صدق ما أقول أن الأمم الغربية لهذا العهد ترضى أن تسحق سحقاً تاماً بالقنابل الهيدروجينية والذرية ولا ترضى أن تغير شيئا من أوضاعها الحالية فى استغلال الشعوب الضعيفة واستعمارها وظلمها وفى نشر الإباحية الفاسقة والانحلال الأخلاق الفاشى فى حياتها الاجتماعية وإلقائهم بالمرأة فى ميادين الرجال ... وقواعد الحياة الاجتماعية فى الإسلام غير ذلك .

محمد عبد السلام القبانى
أستاذ بكلية الشريعة

مكتبتنا العربية

من ذكريات الميلاد

من الأحداث الكريمة ما يغير مجرى التاريخ الإنسانى ، ويبدل أوضاع الحياة ، ويعدل سلوك الناس ، وينقلهم من ضيق إلى سعة ، ومن قلق الى دعة ، ومن حضيض إلى رفعة ، ومن ذل إلى عزة ، ومن فزع واضطراب إلى هدوء وأمن واستقرار .

ومن أنصع الحوادث التى مرت بالإنسانية ، فغمرتها بالنور والسعادة ، ونقلتها من الضلالة إلى الهداية ، ومن الظلم والفجور إلى العدل والتقى ، ومن حياة عابسة مضطربة مختلة الجوانب والأوضاع ، إلى حياة باسمة هادئة ناصعة الحدود مشرقة المعالم ؛ ميلاد الرسول الأكرم محمد بن عبد الله النبي الأمى الذى أرسله ربه إلى الناس كافة ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

لقد نشأ محمد صلوات الله عليه فى بيت طاهر كريم كله صلاح وتقوى وعبادة وتدين . وكان يطلق على أهله أهل الله ، لأنهم جاوروا البيت الحرام وقاموا بأمره وأخذوا أنفسهم بخدمته ، ومن هنا كانت لهم السلطة الروحية التى فرضت على الناس احترامهم ومحبتهم ، وقذفت فى النفوس تبجيلهم وهيبتهم ، وجعلت أقدارهم فوق أقدار الناس . وكان عبد المطلب جده يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور وكان يقول دائماً : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الله . إلى أن هلك ظالم غشوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب فى ذلك فقال : والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته .

ولما ولد رسول الله سماه جده محمداً ، وقيل له كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك فقال : إنى لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم .

ولقد تمثلت حياطة الله ورعايته لنبيه ومجتباه أتم تمثيل ، فقد مات أبوه قبل أن يولد ، فولد فى كنف جده عبد المطلب . هذا الرجل البر التقى الذى توسم فيه الخير وتنبأ له بالمجد والعظمة . وتوفى كافله عبد المطلب وهو فى الثامنة من عمره . فقام على كفالته وتربيته عمه أبو طالب ، وانتقل من قلب عاطف رقيق إلى قلب عاطف رقيق ، اتسع له بالحب والعطف

مكتبتنا العربية

والشفقة أكثر مما اتسع لأبنائه ، فرعاه أحسن رعاية وحفظه أتم حفظ ، فكان لا يأكل إلا معه ويخصه بأطيب الطعام ، ولا ينام إلا إذا كان إلى جانبه ولا يسافر فى تجارة إلا كان فى صحبته وهكذا مما وعته صحائف التاريخ .

وأول عبرة نقتبسها من سيرته وسلوكه : الوفاء الحق الذى عز على الناس أن يأخذوا أنفسهم به وأن يردوا طباعهم إليه . فقد نشأ محمد يتيما فقيراً وكان لذلك أثره فى نظر الناس له وإقبالهم عليه ، فهذا اليتيم لابد له من مرضع تقوم بأمره وتتكفل بحضانته وتؤويه فى باديتها ، ليشتد جسمه ، ويشب عوده ، ويستقيم لسانه ، ويتسع أفقه ، وتقوى طبيعته فى جو البادية الفسيح .

أقبلت النساء على مكة يلتمسن الرضعاء فى عام ممحل مجدب ، وعرض عليهن الأطفال وفيهم محمد . فلا تكاد مرضع تراه حتى تنزوى عنه ولا تكاد رغبة تبدو فيه حتى تخمدها دوافع المادة ومطالب الحياة وإلحاح الحاجة ، وأخذت كل امرأة وليداً توسمت فيه الخير ورجت من ورائه المنفعة . وبقيت امرأة فقيرة بائسة ، أجهدتها الحاجة وألح عليها العوز فى سنة شهباء أكلت الأخضر واليابس وجففت الضرع وأتلفت الزرع وأعطبت الثمر ، تلك هى حليمة السعدية ، وبينا هى تتأهب للرحيل إذا بهاتف من أعماق نفسها يهيب بها ويستحثها أن يكون نصيبها هذا اليتيم الذى أجفلت عنه المراضع وفترت فيه رغبات النساء ، فاستجابت لهذا الهاتف وعادت إلى اليتيم فأخذته وهى أشد ما تكون حاجة إلى وليد ميسور الحال كثير المال . ولكن ببركة هذا المولود ويمن طالعه لم يلبث أن انهال عليها الخير لبناً يدر من ثديها وحياة تدب فى ضرع ناقتها الهزيلة المسنة التى جففها الجوع والكبر منذ أمد طويل ، فرضيت واستقرت ونعمت حياتها ، ورأى الناس عليها مظاهر النعمة ، فكانوا يعجبون لما أصابها من نعيم بعد بؤس ورخاء بعد شدة ، وفطنت هى كذلك لنعمة الله عليها بهذا الرضيع الأغر الميمون النقيبة ، فكان أثيراً على نفسها حبيباً إلى قلبها محاطا بالإكرام والرعاية من زوجها وأبنائها ، وكانت بنتها الشيماء تخرج به لتلاعبه وتنشد له الأناشيد المحببة .

وقد أرادت أمها ذات مرة أن تعنفها وتلومها على خروجها به فى الحر الشديد ، فقالت يا أماه والله إن الشمس لا تصيبه أبداً ، فقد رأيت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت ، ومكث عند حليمة حتى تم فصاله وأرجع إلى أهله .

مكتبتنا العربية

على أنه بعد ذلك لم ينس لحليمة ما قدمت إليه من إكرام، وما أسلفت له من رعاية، لم ينس خدمتها وإخلاصها، فوفى لها أكرم الوفاء وكافأ جميلها وذكر معروفها وبذل لها مما يملك ما قرت به عينها واطمأنت نفسها.

فقد روى أنها وفدت عليه بعد أن تزوج خديجة وشكت إليه الجدب والفقر والحاجة فأعطاها عشرين رأساً من الغنم وبكرات، وفى هذا أنصع الدلالة على ما يكن فى فؤاده من تقدير كريم وعرفان صادق. وكانت بنتها الشيماء من بين من أسر من بنى هوازن بعد حصار الطائف، فلما جيء بها إليه رجع بذكرياته إلى الماضى البعيد وإلى عهد الطفولة السعيد وإلى الزمن الجميل الذى قضاه معها فأكرمها وأعادها إلى أهلها كما رغبت وأحبت.

ذلك مثل كريم من أمثلة الوفاء النادر، يجب أن يتدبره الناس ويتهذبوا عليه فى حياتهم ويتأسوا به فى دنياهم. ويجب حين تطوف بنا ذكرى مولد الرسول الأكرم أن نذكر أكرم صور الوفاء وأروع آيات الإخلاص، فإنه لا يهيج الأحقاد ويثور نار العداوة بين الناس مثل كفران المعروف وإنكار الإحسان.

وهذه صورة أخرى من صور وفائه وإثابته، فإن أهل مكة كان قد أصابهم جدب شديد وحلت بهم ضائقة ماحقة، وكان عمه أبو طالب ذا عيال كثير فآذته تلك الضائقة وأرهقه ما أرهق الناس من شدة وضنك، فلما رأى محمد ما حل به وكان قادراً على أن يمد له يد العون والمساعدة لم يبخل ولم يتردد، فاتفق مع عمه العباس على أن يخففا عنه الحمل وينهضا معه بالعبء، فأخذ العباس جعفراً وأخذ محمد ﷺ عليا، وقام بأمره وما زال عنده حتى بعثه الله نبياً فكان أول صبي آمن به وصدقه.

والعبرة الثانية التى تشرق من تاريخه وتنبجس من حياته، الصبر على المكاره والثبات فى الحق وصدق الجهاد فى سبيل الله.

أوذى فى نفسه وفى صحابته، فلم يلن عوده للخطب يرهقه، ولم يتزعزع ثباته للحدث المدلهم مهما برح الألم. وقال له عمه: يا ابن أخى إنا لا نستطيع حرب هؤلاء القوم ولا طاقة لنا بخلافهم، فاترك ما أنت فيه ولك ما تحب. فقال تلك الكلمة الخالدة التى وعاها سمع التاريخ: والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

مكتبتنا العربية

فهذه السيرة العطرة وذلك التاريخ المشرق ، يحفل دائماً بأروع الامثلة فى الصبر على الاحداث والثبات عند الخطوب وعدم الاحتفال للقوة الغاشمة مهما طغت واستبدت .

إنه يذهب إلى الطائف لدعوة أهلها إلى الحق وإلى رب العالمين فإذا بهم يقابلونه أبشع مقابلة ويحيونه أشنع تحية ويغرون به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى يدموا عقبيه ويجلس إلى جوار حائط متعباً مكدوداً ، ثم يتجه إلى ربه قائلا : « اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

ويترك الرسول ﷺ مكة ويهاجر إلى يثرب فتظهر دعوته ، وتنتشر كلمه ، وتسرى فى الآفاق شريعته ، ويداخل قريشاً الحقد والغيظ ، ويدب فى نفوس العتاة الجبابرة مالا يستطيعون دفعه من الكراهية والحسد ، فيلتئم جمعهم ويجتمع شملهم وتتفق كلمتهم على أن يقوموا بعمل حاسم يقضى على الدعوة ويطمس ذلك التاريخ الحافل . وحالف قريشاً جميع القبائل الضاربة حولهم كما حالفهم يهود المدينة والمنافقون منها ، واختارت كل قبيلة أحسن رجالها وخير قادتها ، وزهرة أبنائها ، وخرجوا من مكة وعدتهم اثنا عشر ألفاً على رأسهم أبو سفيان بن حرب وفيهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

هنا يتجلى إيمان محمد وحكمته وحسن تدبيره ، يتجلى إيمان قائد يعوزه السلاح وتنقصه العدة فإن أتباعه عراة إلا من لباس التقوى ، ضعفاء إلا من قوة الإيمان ، مجردون إلا من سلاح الحق والثقة برب العالمين ورضا أحكم الحاكمين . استشار الرسول أصحابه . فقال البعض : يا رسول الله ما لنا بهم من طاقة . نعطيهم ثلث ثمار المدينة ليرجعوا عنها . وصاح سعد بن معاذ بكل قوته قائلا : يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

واستقر الرأى على عمل خندق حول المدينة . فأخذوا فى الحفر ، وكان أبو بكر وعمر ينقلان التراب فى ثيابهما لأنهما لا يجدان مكاتل ، ورسول الله يأخذ المعول فيكسر الحجر

مكتبتنا العربية

الذى يعترضهم فى حفرهم ، ثم أخذ الجيش القليل يحرس الثـــلم ورسول الله يحرس ثلمته فى البرد القارس والجوع الشديد .

وفى هذا الوقت العصيب الشديد الذى يواجه فيه المسلمون قوة عاتية طاغية باطشة مجهزة بالخيل والنبل والسلاح وخيرة الفوارس ، كان الرسول يطمئن المسلمين ويعدهم بالنصر ويقول « والله لتفتحن الشام ، ولتظهرن عليه ولا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هـــذا المشرق » .

ويزيد على ذلك فيرسل إلى أبى سفيان قائلا « أما بعد فقديماً غرك بالله الغرور ، ولقد ذكرت أنك سرت إلينا فى جمعكم ، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، وذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزّى » .

ولقد حقق الله لنبيه وعده بالنصر ، فأرسل على قريش وأحلافهم ريحاً قوية وعواصف شديدة ، كفأت قدورهم وقلبت أخبيتهم وقلعت خيامهم ، فانقلبوا راجعين من حيث أتوا ، « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً » .

وهكذا كل ناحية من نواحي الرسول الأكرم تروع العالم بما فيها من جلال العبرة وسمو الموعظة وحسن الأسوة . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الأمجاد .

عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

أنى لك هذه ؟!

قال عالم الصحابة عبد الله بن عمر بن الخطاب :

أهدى أبو موسى الأشعرى الى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل (زوجة أمير المؤمنين عمر) طنفسة أراها تكون ذراعاً وشبرا . فدخل عليها عمر فرآها ، فقال : أنى لك هذه ؟

قالت : أهداها إلى أبو موسى الأشعرى .

فأخذها عمر فضرب بها رأسها حتى نفض (أى تحرك واضطرب) ثم قال :

على بأبى موسى الأشعرى ، وأتعبوه ! فأتى به وقد أتعب وهو يقول :

لا تعجل على يا أمير المؤمنين . قال عمر : ما يحملك على أن تهدى لنسائى ؟ ثم أخذها عمر وضرب بها فوق رأسه وقال : خذها ، فلا حاجة لنا فيها . . .

مكتبتنا العربية

تحديد الملكية فى الإسلام

كان الفقه الإسلامى ولا يزال معينا للحاكمين على تحقيق العدل بين الشعوب ، فاتحا لهم باب النهوض بأممهم بنور الحق الذى يستمده من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكثيرا ما جدت فى الأرض مشاكل اجتماعية بل علل فى جسمها مستعصية لو أن الفقه استشير فى حلها لوضح أنه الطبيب النطاسى ولوقيت الأمة كثيرا من الآفات .

ومسألة اليوم : هى تحديد ملك الأراضى ، أى منع الناس من الزيادة على قدر معين فيما يتملكون ، وإجبارهم على بيع ما زاد على هذا المقدار إن كان لهم ملك يزيد عليه ، فما رأى الفقه الإسلامى فى هذه المسألة ؟

قرر الإسلام حق ملكية الأراضى واحترمه ودافع عنه وأثبت للمالك حق الانتفاع بأرضه والتصرف فيها . فقد جاء الإسلام وأهل مكة والمدينة فى أيديهم دور وأراض يملكونها ، فاحترم الإسلام هذا الملك ورتب عليه آثاره . وفى صحيح البخارى أن قوله تعالى « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم » الآية نزلت فى يهودى غصب الأشعث بن قيس أرضه فترافعا إلى النبى ﷺ فلما عجز الأشعث عن البينة طلب يمين اليهودى ، قال الأشعث : إذاً يحلف ويذهب بمالى ، فنزلت الآية . وقوله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم » يشير إلى أن أهل مكة أخرجوا بالهجرة من أرض كانوا يملكونها .

ولم يوقف الإسلام هذا الحق عند حد إلا عند الداعية ، فقد كان من الصحابة من أفرط فى الثراء كعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ولم يتعرض الإسلام له . فقد صالحت إحدى زوجاته الأربعة وهى السيدة تماضر عن ربع ثمنها بثمانين ألف دينار .

وسواء أكان سبب هذا الحق : الشراء أو التبرع أو الميراث ، أما إذا كان السبب هو الاغتنام والاستيلاء بسبب الغلبة فى الحرب فقد اختلف فيه المسلمون من عهد الصحابة فمنهم من يرى أنها مملوكة لأهلها الأول . ومنهم من يرى أنها ملك للجند الفاتحين ، ومنهم من يرى أن رقبتها ملك للدولة وللناس استغلالها وعليهم خراجها ، وفى ذلك تروى المناظرة المشهورة بين عمر وبلال رضى الله عنهما فى سواد العراق .

مكتبتنا العربية

كذلك حق تملك الأراضى مقرر محترم بإجماع المسلمين وقد كان مكان مسجد المدينة ملكا لبعض بنى النجار فثامنهم النبى ﷺ إياه .

لا يوقف الإسلام هذا الحق عند حد ولا ينتهى إلى غاية لأن الإسلام يأذن بحرية الكسب الحلال ويشجع عليه ويجعل عمل العامل له بعد أن يوفى لله حقه والدولة ضريبتها منه .

غير أن هذا الحق بطبيعته أمر مباح ، والمباح يظل على إباحته إلا أن تترتب على مزاولته مفسدة أعظم من المصلحة التى شرع من أجلها ، فعندئذ ينقلب المباح محظورا ، كبيع السلاح من أهل الفتنة حيث يعود محظورا لأنه إعانة على الفساد فى الأرض ، وكإحراق فضلات الزرع فى أرضه والريح شديدة ، فإنه يعود محظورا ، لأنه إضرار بالناس ، وهذا كله عمل بقاعدة : إزالة الضرر عن المسلمين ، التى قررها الحديث الكريم « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » ، ومن هذا ما روى عن أبى حنيفة من الكراهة التحريمية لأكل لحم الخيل : فانه رحمه الله علله بأنه وإن كان مباحا فى الأصل لكن يترتب عليه مفسدة تقليل آلة الجهاد .

فإذا كان الإفراط فى تملك الأرض الذى هو حق مباح يترتب عليه مفسدة عظيمة وضرر كبير هو حرمان جمهور المواطنين من رزقهم وقوتهم الذى سبيله الزراعة واستثمار الأرض ، على حين ينفق الملاك فيما يفيد وما لا يفيد ويعيشون عيشة الترف والسرف والتبذير فى المحرمات والشهوات أو يكنزونه ويحبسونه عن أفواه الجائعين أو مشاريع الخير ، انقلب ذلك المباح محظورا وملك ولى الأمر سلطة إبعاد الناس عن مزاولة هذا الحق بقانون يسنه أو أمر يصدره ، بناء على ما قررنا من أن زوال الضرر أمر محتوم ينبغى أن تتقيد تصرفات الناس به .

واعتبار الأملاك المجموعة فى أيدى قلة مع حرمان الكثير منها مفسدة كبرى بنص القرآن ، حيث كرهها وجعلها من الآفات التى يجب إخلاء المجتمع عنها . فإن الله تعالى أمر بقسمة الفىء على من ذكرهم فى الآية الكريمة « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » وعلل هذا بقوله « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » يعنى والله أعلم قسمنا الفىء فى الوجوه التى بينا كيلا يكون المال ملكا مجموعا فى يد الأغنياء يتداولونه بينهم ويتغلبون به ويتصرفون فيه بمحض شهواتهم ولا يصل إلى الفقراء منه خير . فاتخاذ المال على هذه الصورة شر مستطير ومفسدة عظيمة ،

مكتبتنا العربية

أمر الله بقسمة الفيء كى لا يقع الناس فيه . ونهى عنه نهيا صريحا بقوله بعد ، وما نهاكم عنه فانتهوا » . وليس الأمر خاصا بالفيء بدليل قراءة الرفع فى « دولة » أى لئلا تقع دولة بين الأغنياء .

إذاً فكون الأراضى دولة بين الأغنياء ، مفسدة ينبغى أن تدرأ باجتناب كل ما يوصل إليها ، فإذا كان حق التملك من غير تقييد بحد معلوم يؤدى إلى تلك المفسدة وجب حظره والمنع منه لأن صاحبه أساء استعماله ، نظير ذلك التزوج بأكثر من واحدة فإنه حق أذن فيه الشرع وأباحه لكنه رفع هذه الإباحة إذا ترتب على استعمال هذا الحق مفسدة الظلم « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

بقى علاج تضخم الملك بإجبار المالك على بيع ما زاد على القدر المعقول فما رأى الفقه فيه ؟

عرف الإسلام الإجبار على البيع دفعاً للضرر الخاص كبيع العقار للشفيع دفعاً لضرر سوء الجوار ، والإجبار على بيع ما للمدين لقضاء دينه دفعاً للضرر عن الدائن ، والإجبار على قسمة المال القيمى ، وهى بيع من وجه ، لدفع ضرر تعطيل منفعة الشريك أو نقصها ، وعرف الإجبار على البيع دفعاً للضرر العام كبيع طعام المحتكر لحاجة الشعب إليه وامتناع مالكه عن البيع ، وكبيع أرض بجنب مسجد أو طريق ضاق أحدهما على الناس حيث يجبر صاحب الأرض على بيعها للدولة دفعاً لضرر يلحق مسجد العامة أو طريقهم ، ورووا فى هذا أن أصحاب الأملاك الملاصقة المسجد الحرام أجبروا على بيع أملاكهم للدولة ليوسع بها المسجد على عهد الصحابة ، فكان ذلك إجماعاً منهم على جواز البيع الجبرى دفعاً للضرر ، وبالتالى تحقيقاً للمصلحة العامة . وهذه الأحكام كلها وإن كانت مستثناة من شرط الرضا فى العقود ، مبنية على قاعدة سد الذرائع .

وقد تقدم أن ترك المال دولة بين الأغنياء يتمتعون به فى حلال أو حرام ويتحكمون به فى إرادة الناس ويسلبونهم حريتهم ويحرم منه جمهور الأمة . قرر القرآن أنه شر مستطير ومفسدة كبرى كما بيناه ، فإذا لم يكن دفع هذا الشر إلا بإجبار المفرطين فى الغنى على بيع أراضيهم جاز ذلك ووسع ولى الأمر أن يفعله ، ونروى فى هذه المسألة أثرا عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يصلح شاهدا لها ودليلا عليها .

مكتبتنا العربية

روى أبو عبيد فى كتاب الأموال وأبو يوسف فى كتاب الخراج واللفظ لأبى عبيد قال : وكانت بجيلة ربع الناس يوم القادسية فجعل لهم عمر ربع السواد وأخذوه سنتين أو ثلاثا قال : فوفد عمار بن ياسر إلى عمر ومعه جرير بن عبد الله فقال عمر لجرير : يا جرير لولا أنى قاسم مسئول لتركتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثروا فأرى أن نرده عليهم . ففعل جرير ذلك فأجازه عمر بثمانين ديناراً .

وتفسير هذا الأثر مع ما روى عن عمر أنه لم ير قسمة أرض السواد بين الفاتحين : أن هذه الأرض كما صحح النووى فى المنهاج قسمت أولا بين الفاتحين وكانت قبيلة بجيلة منهم ، ثم استردها عمر بعوض وأقر أهلها الأول عليها . والأثر يفيد بصراحته أن عمر استرد الأرض من مالكيها لزيادة السكان حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء ، وإن كانت هناك أسباب أخرى وردت فى الآثار .

هذا ولولى الأمر تحديد أعلى المقدار الذى يصح أن يبقى فى يد الغنى متوخيا فى ذلك العدل بين أفراد المجتمع .

هذا هو البحث كما استلهمناه فى تخريجه نصوص الشريعة وأصولا وضعها الأئمة وقواعد أحكموها وأشباها فرعوها والله يفتح لنا باب هدايته .

أحمد فهمى أبو سنة
مدرس بكلية الشريعة

الطريقة الاسلامية فى قبول المنافع

روى الإمام أحمد أن عبد الله بن السعدى (وكان نزيلا فى الأردن من أرض الشام) قدم على عمر بن الخطاب فى خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلى من أعمال الناس أعمالا ، فإذا أعطيت العمالة (أى الراتب أو المكافأة) كرهتها ؟ قال ابن السعدى . — قلت : بلى !

قال عمر : فما تريد إلى ذلك ؟ قال : إن لى أفراساً وأعبداً ، وأنا بخير ، فأريد أن تكون عمالتى صدقة على المسلمين . قال عمر : فلا تفعل . إنى كنت أردتُ الذى أردتَ ، فكان النبى ﷺ يعطينى العطاء فأقول : أعطه أفقر إليه منى . حتى أعطانى مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر إليه منى : فقال النبى ﷺ : « خذه فتموله وتصدق به . فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل ، فخذه . وما لا ، فلا تتبعه نفسك » .

مكتبتنا العربية

حاتم الأصم

كانت وفاته سنة ٢٣٧ هـ واسمه : أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان الأصم [١] . وهو من أهل بلخ [٢] ، وكان أوحد من عرف بالزهد والتقلل ، واشتهر بالورع والتقشف ، وله كلام مدون فى الزهد والحكم ، وأسند الحديث عن شقيق ، وشداد بن حكيم البلخيين ، وروى عنه حمدان بن ذى النون ، ومحمد بن فارس البلخيان .

وكانت حكمه وعظاته تتناقلها الرواة ، ويتحدثون بها فى المجالس حتى تصل إلى بغداد ، وكان له كلام عجيب يسمو سمو النفس البشرية ، ويتعالى عن دركاتها . قدم بغداد فاجتمع إليه أهلها ، فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، أنت رجل أعجمى ، وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، فلأى معنى هذا ؟ فقال حاتم : معى ثلاث خصال ، بها أظهر على خصمى ، فقالوا : أى شىء هى ؟ قال : « أفرح إذا أصاب خصمى ، وأحزن له إذا أخطأ ، وأحفظ نفسى فلا أتجاهل عليه » . وبلغ هذا الكلام أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ما أعقله من رجل !

وكما سمع أحمد بن حنبل بحاتم الأصم ، سمع حاتم به ، إلا أن حاتما سبق فضله فبدأ بزيارته ، وسعى إليه . قال أبو جعفر الهروى : كنت مع حاتم مرة ، وقد أراد الحج ، فلما وصل إلى بغداد قال : يا أبا جعفر : أحب أن ألقى أحمد بن حنبل ، فسألنا عن منزله ، ومضينا إليه ، فطرقت عليه الباب ، فلما خرج قلت : يا أباعبد الله : أخوك حاتم ، فسلم عليه ، ورحب به . وقال له بعد بشاشة له : أخبرنى يا حاتم ، فيم التخلص من الناس ؟ قال يا أبا عبد الله فى ثلاث خصال ، قال : وما هى ؟ قال : أن تعطيهم مالك ، ولا تأخذ من مالهم شيئاً ، وتقضى حقوقهم ، ولا تستقضى منهم حقاً ، وتحمل مكروههم ، ولا تكره أحداً منهم على شىء . قال : فأطرق أحمد ينكث بأصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال : يا حاتم إنها لشديدة ، فقال له حاتم : وليتك تسلم ، وليتك تسلم !

---

(١) غلب عليه اسم الأصم لنادرة جرت بين يديه . جاءته امرأة ، فسألته عن مسألة فاتفق أن خرج منها فى تلك الحالة صوت ، فخجلت ، فقال حاتم : ارفعى صوتك - وأرى من نفسه أنه أصم - فسرت المرأة بذلك ، وقالت : إنه لم يسمع الصوت !

(٢) قاعدة خراسان .

مكتبتنا العربية

بهذا تجرد حاتم من الأثرة ، واستعان بعزيمته وشحذ إرادته ، حتى استطاع أن يتخلص من شهوات النفس العارمة ، وقضى على نفسه أن تلتزم هذه الحدود الثلاثة ، ويتشوق إلى سماعها الإمام الورع التقى أحمد بن حنبل ، فيجدها صعبة على نفسه ، ويقول : إنها لشديدة !

ويقصده سائل فيقول له : على أى شيء بنيت أمرك ؟ فيقول : على أربع خصال ، يعتقدها المرء ولا يحيد عنها فى اعتقاده ، ثم يحيل نفسه على تتبعها ، والعمل بها ، على ألا أخرج من الدنيا حتى استكمل رزقى ، ولا يأكله غيرى ، وعلى أن أجلى لا أدرى متى هو ؟ وعلى ألا أغيب عن الله طرفة عين .

وكان اشتهر من أمره أنه يجوز المفاوز بغير زاد . فقال له رجل فى ذلك ، فقال : بل أجوزها بالزاد ، وإنما زادى فيها أربعة أشياء ، قال : وما هى ؟ قال : أرى الدنيا كلها ملكا لله ، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله ، وأن الأسباب والأرزاق بيد الله تعالى . وأرى أن قضاء الله نافذ فى كل أرض الله ، فقال له الرجل : نعم الزاد زادك يا حاتم أنت تجوز به فى مفاوز الآخرة .

وكان يحمل على نفسه ، ويتيسرها على ما يريد ، ولو كان فى ذلك انقطاع الجسم ، وإعياؤه ، ما دام ذلك يقربه إلى الله تعالى .

كان ظاعنا إلى مكة ، وجعل على نفسه — إن قدمها — أن يطوف حتى ينقطع ، ويصلى حتى ينقطع ، ويتصدق بجميع ما معه ، ولندعه يكمل لنا القصة فيقول :

« فلما قدمت مكة ، صليت حتى انقطعت ، وطفت كذلك ، فقويت على هاتين الخصلتين ، ولم أقو على الأخرى ، كنت أخرج من هنا ويجيء من ههنا » .

وكان ببلخ — والفصل شتاء — فمكث فى بيته ثلاثة أيام مع أصحابه ، ثم قال : ليخبرنى كل رجل منكم بتهمته ، قال : فأخبرونى ، فإذا ليس فيهم أحد إلا يريد أن يتوب من تلك التهمة . ثم قالوا له : ما تهمتك أنت يا أبا عبد الرحمن ، فقال : تهمتى ألا شفقة لى على إنسان يريد أن يحمل رزقى فى هذا الطين ، وإذا برجل قد جاء ، ومعه جراب خبز ، وقد زلق ، وامتلأت ثيابه طينا ، وقال : يا أبا عبد الرحمن خذ هذا الخبز !

وكان فى موضع التلف ، وموطن الجزع ، لا يتغير أو يتحول ، وفى ذلك يقول :

مكتبتنا العربية

خرجت فى سفر ، ومعى زاد ، فنفد زادى فى وسط البرية فكان قلبى فى السفر والحضر واحداً .

ورؤى كأنما لا يسعى لرزق ، ولا يحشم نفسه مشقة الحصول عليه ، فقيل له : من أين تأكل ؟ فقال : « ولله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون » .

وهو يعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، ولا تخالجه ريبة فى ذلك ، مع أن له أربع نسوة ، وتسعة من الأولاد ، وفى ذلك يقول : ما طمع الشيطان أن يوسوس إلى فى شىء من أرزاقهم .

وكان حاتم من هؤلاء الأبطال الذين يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، ويحدثنا حديث الرجل المؤمن عن حادث طريف جرى له فى إحدى الغزوات ، قال : لقينا الترك ، فكانت بيننا جولة ، فرمانى تركى بسهم ، فقلبنى عن فرسى ، ونزل عن دابته ، وقعد على صدرى وأخذ بلحيتى هذه الوافرة ، وأخذ من خفه سكيناً ليذبحنى بها ، فوحق سيدى ، ما كان قلبى عنده ولا عند سكينه ، إنما كان قلبى عند سيدى ، أنظر ماذا ينزل به القضاء منه ، فقلت : يا سيدى ، قضيت على أن يذبحنى هذا ، فعلى الرأس والعين ، إنما أنا لك وملكك . فبينما أنا أخاطب سيدى ، وهو قاعد على صدرى ، وقد أخذ بلحيتى ، إذ رماه بعض المسلمين بسهم ، فما أخطأ حلقه ، فسقط عنى . فقمت أنا إليه ، وأخذت السكين من يده ، وذبحته بها ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند سيدكم ، حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

وجاء إليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أى شىء رأس الزهد ، ووسط الزهد ، وآخر الزهد ؟ فقال حاتم : « رأس الزهد الثقة بالله ، ووسطه الصبر ، وآخره الإخلاص » .

ومن كلامه رحمه الله تعالى : لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه ؟ !

عبد الله قاسم صقر
من علماء الأزهر الشريف
ومدرس بالساحل الثانوية

مكتبتنا العربية

حاجة الشرق إلى حكم صالح

يدهش الناس . أن يروا الشرق قد تخلف عن الغرب فى كل ناحية من نشاط الحياة ، الشرق مهبط وحى السماء ، الذى تلقى الأديان ديناً إثر دين ، فتفهمها ، وتمثلها ، وبشر بها ، ونشر ألويتها بين العالمين ، الشرق الذى عرف الخالق فعبده ، وإنسان العالم يسير قطعاناً تسرح فى الجبال والأودية ، أو الغابات والأحراش .

الشرق مهد الحضارة والمدنية الإنسانية ، فيه نشأت ومنه انتشرت ، وعنها أخذت الدنيا وعليها تتلمذ العالم ، وتأثر خطى الشرق فيها فتمدن وتحضر ، بعد أن كان إنسانه يأكل لحم أخيه الإنسان .

الشرق رب الفلسفات والثقافات . انبثقت فيه أصول العلم والمعرفة ، الشرق الذى يضم مصر مخترعة الكتابة ، ومدونة العلم ، ومعلمة البشرية ، ومنها ومن بابل وآشور وكلديا وفينيقيا ، ثم من الهند والصين ، أخذت أضواء العلم تبدد حجب الظلام ، كما أخذت أنوار المعرفة ترسل بأشعتها إلى كل مكان ، فرسمت للبشرية خطوط الخير والجمال ، ودفعت بها إلى النهوض والترقى ، ودانت الدنيا بإنسانيتها للشرق العتيد .

الشرق : الشرق فى روحانيته المتغلغلة المستقرة فى أعماق أعماقه ، وفى فلسفاته الدينية والمادية ، وفى تقاليده السياسية القوية ، وعاداته الاجتماعية المثالية ، سيد العالم عصوراً تلو عصور ! ! !

هو هو الشرق بعينه اليوم ، الشرق المتأخر عن العالم فى كل نواحى الحياة ! ! فالأديان التى رفعت من شأنه ، واعتز بها وساد ، هى هى قارة فيه لم تزايله ؛ وعلومه وفلسفاته ، وتقاليده وعاداته ، إن امتدت إلى غيره فإنها لم تهجره ؛ ترى ما السبب إذن فى تأخره وأديانه هى أديانه ، وفلسفاته هى فلسفاته ؟ فلنواجه الحقيقة جادين ، لنتعرف إلى مواطن الداء ، حتى ننجح فى وصف الدواء !

* * *

أما الغربيون فقد ردوا تأخر الشرق عن ركب الحضارة إلى ذاتية أديانه : وطبيعة

مكتبتنا العربية

فلسفاته ، ثم خصصوا فردوا ضعف المسلمين وتأخرهم إلى طبيعة مبادىء دينهم وعلومهم . وفاتهم أو فات بعضهم أنهم من قبل ، قد نسبوا قوة الشرق ، وقوة المسلمين إلى ذاتية دينهم ، وطبيعة فلسفاتهم ، ثم إلى مافى مبادىء الإسلام من قوة وعزة ، ووسائل تربية قويمة ، فهل تصبح أسباب القوة والعزة ، بذاتها وظروفها وكيفياتها ، هى نفس أسباب الضعف والذلة والتخلف عن ركب الحضارة ؟ ألا إن الحق لا يكون باطلا ، وإن الخير لن يكون شراً ، ولن يتصور ذلك عقل مكتمل ، ولا بصيرة سليمة !!

وأما المستغربون الذين تربوا على لبان الغرب وأفكاره ، ورغبوا فى أن يظهروا أنفسهم فى مسوح الشرقيين الوطنيين المستنيرين المجددين ، فقالوا : إن تلك الأديان والفلسفات كانت أسباب قوة فى أزمنتها ، أما اليوم فقد تغيرت أحوال الشرقيين وظروفهم ، وتطوروا ، وتطورت بيئاتهم ، واقتضى ذلك التجديد فى الدين ؛ وفى التشريع ، لأن ما صلح بالأمس لبيئة لايصلح اليوم لأخرى ، وهؤلاء الذين فسدت شرقيتهم باللقاح الغربى ، والذين لم يرضعوا لبان الشرق والإسلام ، فاتهم أن الطبائع ثابتة ، وأن ما بالطبع لا يتغير ، وأن التطور غير التغير ، وأن مشرع الدين ، ومنظم شرائع الإسلام دائم خالد ، عالم بالطبائع والتطورات ، وقد اقتضت حكمته أن تواجه تشريعاته كل زمان ومكان ، فوضع لكل حال حالا . ولكل داء دواء ، وتوخى صلاحية المبادىء للتطبيق ، وإن تطورت البيئات واختلفت الظروف والأحوال ؛ كما فاتهم ما أجمع عليه الربانيون ، والعلماء الإنسانيون ، من أن القانون الذى اتفق على صلاحيته ، لا يقلل من احترامه مخالفة البعض أو الكل لمبادئه ، لأن الجريمة قديمة فى طبع الإنسان ، ولولا وجود جراثيمها فى طبائعه لساد الخير العالم كله . ولما كانت هنالك حاجة إلى تشريع أو تقنين . فمخالفة القانون . أو مخالفة الدين . لا تقدح فى القانون ، ولا تطعن فى الدين ، وإنما تقدح وتطعن فيمن التزموا بتطبيق مبادئه ، وتحكيمها فى حياتهم العامة !

وأما المستسلمون فقالوا : هذا قدر مقدور ، وعلينا الرضا بما قدره الله علينا . وفاتهم أن الله قد دعاهم إلى الاستمساك بأسباب القوة والعزة ، وتوعدهم بالنكال إن جنحوا إلى الضعف والذلة ، وأن الله لا يرضى بفساد ، ولا يأمر بفاحشة ، ولا يرضى لهم الكفر به ولا بنعمه ، كما لا يرضى أن يرتضوا لأنفسهم الظلم والاستعباد لغيره ، دعاهم إلى ذلك لامر جلى لاغموض فيه . هو أنه اختارهم له جنوداً ، وجند الله هم الغالبون الأعزة وأهل السيادة . وهو ولى الذين آمنوا .

مكتبتنا العربية

ولا ولاية لغيره عليهم وهم حزبه وحزب الله هم المفلحون . أصحاب الغلبة والعزة والسيادة!

وإذن ماذا نريد ؟ أريد أن أقول : إن فساد الحكم فى الشرق ، فى مبادئه . وفى أساليبه ، هو سر البلاء . ومرد نكبة الشرق وآلام الشرقيين والمسلمين خاصة ! !

إن الأديان والدساتير - مهما سمت مبادئها وتقررت صلاحيتها - لا تكون لها القوة الدافعة إلى التوجيه ، ما لم يوجد المؤمن بها القادر على التوجيه . إذن أن المبادىء وحدها لا تسير ، ولا تقتحم الميادين ، دون مؤمن متفحم ، ولهذا جاء إرشاد الله سبحانه لعباده ، أن يوجدوا بينهم القدوة الحسنة ، على مثال القدوة التى أوجدها لهم ، لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، والقدوة الحسنة هى القيادة الرشيدة التى توجه المجتمع إلى الخير ، وتحمل الأفراد بسلوكها الخاص ومنهجها فى الحياة ، على ابتغاء ما تبتغيه من خير ، واستهداف ما تهدف إليه من صالح الجماعة . والسيرة العملية للقائد . والقدوة ، أقوى تأثيرا فى نفوس الأفراد من قوة السيف ، وضغط الحديد والنار وبها يقرع القائد أشمخ آناف المخالفين الذين يبتغون العاجلة ، ويفضلون مصالحهم على مصلحة الجماعة ، ولتنظر - رعاك الله ورعانى - ماذا فعلت القدوة الحسنة فى العام الخامس عشر من الهجرة ، عام المجاعة التى اجتاحت أرض العرب ، المجاعة التى ألصقت أيدى المسلمين بالتراب حتى سموا عامها : عام الرماد أو الرمادة ! ! هال الأمر عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وفى يديه ذهب الدنيا وخيرها ، ولو شاء نعيمها لأغرقه فيه أصغر أمرائه فى الشرق أو الغرب ، ولكن الرجل أقسم بالله لا يذوق سمنا ولا عسلا ، ولا لحما ولا شحما ، ولا يطعم غير ما يطعم المسلمون حتى يحيا الناس . ولعل كلمته ، حتى يحيا الناس ، ترشدك إلى أنها كانت مجاعة مميتة فتاكة ! وظل عمر مقيما على قسمه ، حتى هزل جسمه ، وشحب لونه ، واعرورق وجهه ، فاجتمع كبار الصحابة : سعد والزبير وغيرهما من زعماء القوم ، وقرروا أن يحملوا الخليفة على التحلل من قسمه لأن حياته ملك للمسلمين لا له . ثم ذهبوا إليه ، وخاطبه فى ذلك سعد فقال : يا أمير المؤمنين تبلغ ببعض الأدم لمصالح المسلمين ، فحياتك خير لهم وبركة ! فصرخ عمر فى وجوههم قائلا : أوقد قلتموها ؟ ! لا والله لا أذوق شيئاً مما ذكرت ، لا أشبع الله بطن عمر إن أكلت مالا يأكل الناس ، بئس الحاكم أنا إن شبعت وقد جاع الناس ! ! لم إذن كنت إماما ؟ وكيف أصلح للناس قدوة ، إذا لم يمسنى ما مسهم ، ولم يصبنى ما أصابهم ؟ ! ثم انظر إليه وهو يوصى عامله الأشعرى بأن يكون خير قدوة للناس : « وإياك أن تكون كالبهيمة مرت بواد خصيب فجعلت همها فى السمن ، ومادرت أن حتفها فى السمن » ولقد استقام له الأمر ،

مكتبتنا العربية

فاستطاع أن يربط عزة المسلمين بأسباب السماء ، وكانوا خير أتباع لخير قدوة ، جعلوه مثالهم وإمامهم فى كل شىء فعزوا به ؛ واعتز بهم جميعا دينهم ووطنهم ! !

وليس الحكم فى الحقيقة غير هذه القيادة الرشيدة - لأنه كما يقولون : مأخوذ من حكمت الدابة أى ضبطت سيرها ، ووجهتها إلى الخير والرشد ، فإذا لم يكن الحكم كذلك فهو تحكم لا حكم ، تحكم يقوم على الاستعباد والاستغلال .

ومنذ صار حكم المسلمين تحكما ، أى منذ اعتقد الحكام أنهم أسمى وأرفع من المحكومين ، وأن الحكم حق وراثى لهم يرثونه مع المتاع والضياع عن آبائهم ، منذ صار الحكم ملكا لاصلة له بالدين . منذ ذلك الحين والشرق الإسلامى بصفة خاصة يمعن فى الانحلال ، والتحلل من المثل الرفيعة جريا وراء الملوك المنحلين ، والأمراء الفاسدين ، فكانوا لقمة سهلة على المستعمرين .

إن نظم الحكم فى بلاد المسلمين عامة ، نظم فاسدة ، لاتتفق مع طبيعة الشرق ولا مقررات الإسلام فى الحكم والقيادة ، هى نظم مسيحية ، أخذها المخدوعون من المسلمين عن الغربيين ، ليبتعدوا بها عن مقررات الإسلام فى الحكم والتوجيه ، لأن ذلك فى نظرهم « رجعية » وجمود على الإلف . وإننا فى عصر نور وتجديد ، ولا يصح منا أن نقول ما عابه الإسلام على أهل الجاهلية « إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » ولم يعلم هؤلاء أن الغرب قد أخذ الأسس التى بنى عليها حياته السياسية عن الإسلام ! هم لم يأخذوا الإسلام وإنما أخذوا منه ما ينفعهم على الرغم من عداوتهم للإسلام ، فما بالنا نأخذ عنهم أسوأ ما عندهم ، ونقتطع مما أخذوا أصله من عندنا ، وعندنا نحن الأصل الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد ثبت منذ عشرات السنين فساد الأثرة كنظام للحكم فى الشرق الإسلامى ، كما ثبت ظلمه وخلقه للمشاكل بين المحكومين ، وكما ثبت فساد الحكم الذى يستند إلى الديكتاتورية البرلمانية ، سواء كان لونه ملكياً أو جمهورياً .

كذلك لايستند الحكم فى الشرق إلى العناصر الطبيعية ، فكما فقد عنصر القدوة ، فقد عنصر الأهلية ، ولا نعنى بالأهلية الكفاية والقدرة ، وإنما نعنى الأهلية الفطرية ، وهى أن يكون حاكم الإقليم من أبنائه وأهله ، كما فقد عنصر الانسجام والتجاوب بين الحاكمين والمحكومين .

وإذا كان الإسلام هو الطابع العام للشرق فإن نظم الحكم فيه تتجافى مع نظام الإسلام . وسنعرض لذلك كله بالتفصيل فى كلمة تالية ، والله يوفقنا إلى الحق ويهدينا إلى الرشد .

محمود فياض

مكتبتنا العربية

مولد منقذ الإنسانية محمد رسول الله ﷺ

١

فى فجر يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، أو لتسع ليال مضت منه ، كما يذهب إليه الكثير من الباحثين (وذلك يوافق العشرين من شهر أبريل عام ٥٧١ م) .

فى هذه اللحظات الخالدة فى تاريخ البشرية ، ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى ، ولد الطفل الذى هتفت بذكره الأرجاء ، وسجل مواقفه الرائعة التاريخ ، وأنصتت لحديثه الدنيا ، واهتزت لأنباء جهاده فى بلاد العرب وما حولها الأمراء والملوك والأكاسرة والقياصرة ، وآمنت بمبادئه وكبرت لشريعته الحياة والناس أجمعون .

ولقد ألهم الله أمه آمنة أن مصير العالم سيكون بعد قليل فى يدى طفلها الوليد هذا ، وأن اسمه سيحتل الصفحات الأولى فى سجل تاريخ الإنسانية ، وأن عصوراً جديدة توشك أن تبدأ ويكون بطلها الأول محمد بن عبد الله . . فأرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام ، فأتاه فنظر إليه وحدثته بما فى قلبها وما تزدحم به مشاعرها من شتى البشريات ومختلف الذكريات ، فأخذ عبد المطلب طفله ودخل به الكعبة ، وقام يدعو لله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، وقال لها : لقد سميته محمداً ليحمد فى الأرض والسماء . . وفى اليوم السابع لمولده ختنه جده كما كان العرب يفعلون .

والتمس عبد المطلب لطفله مرضعاً من نساء البادية ، وكان من عادة العرب أن تلتمس المراضع لأولادها فى البادية : فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر ، وهى حليمة ابنة أبى ذؤيب ، وكان زوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى وكان يكنى بأبى كبشة ، وكان إخوة محمد من الرضاعة : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وخذامة بنت الحارث .

وأقام محمد مسترضعاً فيهم قريباً من أربع سنين ؛ وكانت حليمة تحدث أنه ما حملها على أخذ هذا الطفل اليتيم لتقوم برضاعه إلا أنها لم تجد غيره ، وأنها قالت لبعلها وهى فى مكة

مكتبتنا العربية

تبحث عن طفل تذهب به : « والله إنى لا كره أن أرجع من بين صواحبى ، ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه » ، فقال لها زوجها : « لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة » ؛ فذهبت إليه فأخذته ، وكانت حليمة ترى الخير والنماء والبركة منذ مقدم هذا الطفل إلى حيها ؛ وكان محمد يشب شابا حسنا ؛ وكان رضاعه عامين فلما نفدا وفدت به على أمه بمكة ترجو أن ترجع به ليقيم معها فى البادية زمناً آخر ، فلما مضت أشهر معدودة من عودته مع حليمة ذهب ليلعب مع أخيه خلف البيوت ، وسرعان ما قدم أخوه إلى أمه حليمة يشتد ، وهو يقول لها ولأبيه : « ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثيابٌ بيض ، فأضجعاه ، فشقا بطنه ، فهما يسوطانه » ، فخرجت حليمة وبعلها نحوه ، فوجداه قائما منتقع الوجه ، فالتزمته والتزمه أبوه ، فقالا له : « مالك يا بنى ؟ » ، قال : « جاءنى رجلان عليهما ثيابٌ بيض ، فأضجعانى ، وشقا بطنى ، فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو . فخافت حليمة وزوجها على محمد .

ولما عادت به إلى مكة ، قصت على أمه قصته ، فقالت آمنة لحليمة : « إن لابنى لشأنا ، ولقد رأيت حين حملت به نورا خرج منى فأضاء لى قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل حاملة قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ؛ دعيه عنك وانطلق راشدة » .

٢

وأقام الغلام مع أمه فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته . فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة ، وكانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة ؛ واستمر فى كفالة جده عبد المطلب يرعاه ويحبه ، ويجلسه معه على فراشه فى ظل الكعبة وبنو عبد المطلب يجلسون حول الفراش ، لا يستطيع أحد منهم الجلوس عليه مع عبد المطلب وطفله محمد ، وكان عبد المطلب يقول : « دعوا ابنى فوالله إن له لشأناً » .

ولما بلغ الغلام ثمانى سنين مات عبد المطلب بن هاشم ، وورث مفاخره ابنه العباس ، وصار محمد بعد عبد المطلب فى كفالة عمه أبى طالب .

وكان أبو طالب سيدا من أجل سادات قريش وبنى هاشم ، وكان الناس يتنبأون أمامه بمستقبل جليل لهذا الغلام الصغير ، وأنه سيكون له شأن وأى شأن . ولما سافر بمحمد

مكتبتنا العربية

إلى الشام فى تجارته ، وقابله بحيرا الراهب قال بحيرا لأبى طالب : ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .

وحفظ الله محمدا وعصمه من أقذار الجاهلية ، وصار أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأبعدهم عن الفحش والدنس ، وأكثرهم أمانة ، حتى سماه قومه « الأمين » .

وخاض مع قومه حرب الفجار وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، واشترك فى حلف الفضول على نصرة المظلوم ، وتزوج خديجة بنت خويلد الأسدية وهو فى الخامسة والعشرين من سنى حياته الميمونة ، وهدمت قريش الكعبة لتجدد بناءها واختلفوا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه فكان محمد الحكم بينهم ، وارتضى حكمه الناس جميعاً ، وكان إذ ذاك فى الخامسة والثلاثين .

وكان يعبد الله على الحنيفية البيضاء دين إبراهيم وإسماعيل ، ويتعبد فى غار حراء الليالى ذوات العدد ، فلما بلغ الأربعين اختاره الله لرسالته العظمى ، واصطفاه ليحمل أمانة الله ووحيه إلى الناس كافة ، وليكون خاتم المرسلين وخير النبيين ، ونزل عليه جبريل بالوحى وهو فى حراء يوم الاثنين لسبعة عشرة ليلة خلت من رمضان (٦ أغسطس ٦١٠ م) وعمره إذ ذاك أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام . قال له جبريل :

اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم » ، وسمع الصوت مجلجلا فى السماء : « يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل » .

وبلغ محمد قومه رسالة ربه ، فآمن من آمن ، وجحد من جحد ، وظل يدعو إلى الله سراً ، وهو فى قومه ، ثلاث سنين ، أجابه فيها عدد قليل من الرجال والنساء والأطفال والمستضعفين ، ثم جهر بالدعوة ، وصمد لإيذاء قريش عشرة أعوام أخرى ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة مبشراً بدين الله ، وداعيا إلى شريعة الإسلام والحق والخير والمساواة .

٣

وانتصر محمد فى المدينة فى معارك كثيرة : انتصر فى حربه مع المنافقين واليهود والذين يعملون على وأد الإسلام دعوة الحرية والطهر والسلام ؛ وانتصر فى حربه مع الشرك والوثنية ففتح مكة وحطم الاصنام والأوثان وجعل كلمة الله والتوحيد هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ؛ وانتصر فى الحروب التى فرضتها عليه القبائل العربية فمزق الحصار

مكتبتنا العربية

تلو الحصار عليه وعلى جيشه الظافر ؛ وانتصر فى الميدان السياسى انتصاراً باهراً ، فجمع العرب كلها فى وحدة واحدة وتحت ظلال سياسة إسلامية كريمة واضحة الأهداف والنزعات الإنسانية العالية : وانتصر فى ميادين الإصلاح والاجتماع ، فألف بين القلوب ، وداوى المزمن من الأمراض ، وأطفأ نزعات القلوب واستل ماطويت عليه من حقد وخصومة وإحن .

وأقام اشتراكية بارعة تجمع بين الغنى والفقير برباط المحبة والتعاون والإخاء ويشارك الفقراء فيها الأغنياء ، والأغنياء الفقراء ، مشاركة فعالة ملهمة حافزة على العمل لخير المجموع الإنسانى وسعادته ، وأقام المجتمع الإسلامى على أصول متينة قوية لايعتريها الضعف والوهن ، أصول تجمع بين النظام والحرية والشورى والإيثار والتضحية وحب الجماعة وتقديس حقوق الفرد ، وبين العدالة والإنصاف والحرص على كرامة الناس و طمأنينتهم ورفاهيتهم وتقدير كل ذى كفاية وموهبة وكل عامل يعمل الواجب ويشعر بالمسئولية ويقدس مصالح الناس وحقوقهم . وحارب محمد الفقر والجهل ، ودعا إلى أنبل الأخلاق وأسمى الفضائل وأكرم الأعمال ، وقضى على الفساد فى مختلف ألوانه ، وطهر الحياة من الأدران والآثام والفوضى والاستغلال ، ونشر دين الله ، وبشر بكتاب الله ورسالته ، ووجه العرب لدعوة الأمم إلى هذه الشريعة المطهرة ، وتلك العقيدة الكريمة ، فلم تمض أعوام قلائل بعد وفاته ، حتى فتحوا الشام ومصر والعراق وبلاد الفرس ، ثم أخذوا يسيحون فيما وراء هذه الأقطار ، داعين إلى كلمة الله ، محطمين للأغلال والوثنية والشرك والاستعباد ، ناشرين العدالة بين الأمم كافة ، مضحين بكل عزيز لديهم فى سبيل إنقاذ البشرية وهداية الإنسانية ؛ كل ذلك بدافع الإخلاص لله ولرسوله الكريم ولكتابه الحكيم .

فما أعظم هذا الرسول العربى الأمى الذى بدّل سير التاريخ ، وحوّل مجرى الحياة ، وقضى على عصور الوحشية والجاهلية المظلمة ، وحارب كل استغلال جشع ، وإقطاعية مفترسة ، وهمجية متنمرة ، ووثنية مضللة .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ما أضاء النهار وأظلم الليل : وهدى به أمته إلى خير الأعمال والعقائد ، وإلى سعادة الأولى والآخرة ، إنه أكرم مأمول ، وأجل مسئول ، وما توفيقنا إلا بالله ...

محمد عبد المنعم خفاجى
المدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

روضة الشعر
في مولد الرسول الأعظم

عُلِّمتَ بالوحى لا باللوح والقلم ... علماً خصصت به من بارىء النسم
به طلعتَ كشمس غير آفلة ... أو كالرحيق بدا بالكأس من أمم
ياأكرم الناس ، منك الجود مقتبسٌ ... ودأبك العفو فى حربٍ وفى سلم
فى بيئة كان فيها الجهل منتشرا ... وعمَّ فيها سجود القوم للصنم
والخمر رائجةٌ والفسق مشتهرٌ ... والحق عنه بنو عدنان فى صمم
كنت البعيد عن الأوثان تبغضها ... كنت الحكيم إن احتاجوا إلى الحكم
كنت العفيف عن الفحشاء تمقتها ... أما الحديث فقالوا صادق الكلم
والخمر ما عرفت يوماً لكم شفة ... وكيف تشرب أم الشر والسقم
هذى بدايتكم بالفضل ناطقةٌ ... تنبى البداية عن وحىٍ وعن حِكَم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وفى حراء أمين الوحى جاءكم ... فوجئتَ بالوحى لا بالسحر واللمم
وضمكم ضم إعداد وتهيئة ... وقال قولةَ معصوم لمعتصم
ولابن (نوفل) تصديقٌ ببعثتكم ... ينفى الظنون وينفى سائر التهم
عدلت قبل نزول الوحى فاحتكمت ... إليك مكة لم ترفض ولم ترم
فاحكم به حكمك المأمون من خطأ ... وارفع كتابك رفع الجند للعلم
ففى كتابك أسمى ما يهذبنا ... من السياسة والأحكام والنظم
وفى حديثك جل الله ملهمه ... تأديب مستمعٍ تثقيف ملتزم
ومنهما دام نور الحق مرتفعاً ... ففى الدساكر أنوارٌ وفى الأطم
رفعت للحق فى الدنيا منارته ... شتان بين منار الحق والهرم

محمد عبد القادر
واعظ القاهرة

مكتبتنا العربية

مملكة تقلى

١

فى الركن الجنوبى من مديرية كردفان ، توجد منطقة جبلية ، تسكنها قبائل النوبا . وفى الركن الشمالى الشرقى من هذه المنطقة توجد جبال تقلى ، حيث نشأت مملكة تقلى فى أواسط القرن السادس عشر ، تلك المملكة المجيدة التى نشرت الإسلام فى هذه الأصقاع الوعرة النائية .

وجبال تقلى تطلق على مساحة من الأرض ، يبلغ اتساعها أربعين ميلا مربعاً ، وتقع فيها الآن قرى كيريا Keraia ، والهوى el Hoi ، وتاسى Tasi ، وجوليا Juluia . ولهذه البلاد جاذبية ، حتى فى فصل الجفاف ، حيث يكون كل شىء عارياً ، لا لون له . ولكنها تكتمل سحراً فى فصل الأمطار ، عندما تنمو الحشائش القصيرة ، وتكتسى الأرض بثوب سندسى أخضر . وبجانب ذلك ، توجد الغابات الكثيفة الناعمة الخضراء ، التى تنمو فى سفوح التلال ، والتى تخترقها الأودية ، بينما تتناثر هنا وهناك بعض الزراعات التى تعرض أمام العين منظرا حياً جميلا . والمياه هنا ، ليست شحيحة ، بل يوجد كثير من المجارى المائية التى تنحدر فى مسارب عميقة فوق الصخور . وتلتقى هذه المجارى المائية ، بالأخوار الرملية ، فى السهول الخلفية . وعقب سقوط الأمطار تبدو لنا مناظر المساقط المائية من بعيد .

وتنحدر جبال تقلى تدريجياً نحو الشمال ، حيث تتلاشى فى سهل يمتد بعيداً نحو جيزان Geizan . كما تنحدر هذه الجبال انحداراً فجائياً نحو الشرق إلى دار الأحامدة ، وتمتد الوديان الخصبة من التلال إلى السهول مقدمة الماء والمرعى لقطعان الماشية والإبل فى فصل الجفاف . ويزرع فى هذه الوديان كثير من الحاصلات مثل الجوز الأرضى والدخن والقطن والذرة والشليك والبصل ...

ومنذ أربعمائة عام تقريباً ، وفى جبال تقلى ، أنشأ رجل فقير من إحدى القبائل النهرية ، هذه المملكة القديمة ، التى ذاعت شهرتها فى السودان الشمالى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهذه المملكة هى موضوع البحث الذى نقدمه اليوم . ولقد نسل من ذرية هذا الرجل تسعة عشر ملكاً ، حكموا البلاد حكما متصلا ، لم يقطعه شىء ، منذ ولى الحكم « جيلى أبو جريدة » ، وهو ابن ذلك الرجل الفقير « آدم النيل جيلى » .

مكتبتنا العربية

واستطاع ملوك تقلى ، فى وقت من الأوقات ، أن يبسطوا سلطانهم ، على جبال النوبا الشرقية ، من « أبى حبل » فى الشمال إلى « تالودى » فى الجنوب .

واعترف بسلطانهم ، كثير من القبائل العربية ، التى كانت تدخل هذه المنطقة من آن لآخر . واستطاع هؤلاء الملوك ، أن يقاوموا بنجاح الحكومة التركية فى السودان سنين عديدة ، وظلوا على الدوام شوكة فى جانبها . وبلغ من علو قدر هؤلاء الملوك ، أن الوافدين على مملكتهم من الشمال ، كانوا يخاطبونهم بقولهم « الله يطول عمرك » . وكان لتشجيع هؤلاء الملوك للهجرة والاستقرار فى سنى حكمهم الأولى ، أثر كبير فى تعديل بعض عادات رعاياهم الدينية والاجتماعية .

وهؤلاء الملوك أدخلوا فى الإسلام جماعات النوبا [1] التى كانت صارمة الوثنية ، والتى ينتمى إليها النوباويون الحاليون ، ثم لم يكتفوا بذلك بل صاهروهم ، واختلطوا تقريباً بكل العناصر فى السودان الشمالى . ولم يبق عنصر نوباوى خالص الآن ، إلا القبائل التى تقطن « جبال الكجا كجة » . وكان معظم الدم الخارجى فى تقلى نفسها ، جعلى ، وغيره من دماء القبائل النهرية . كما نجد عنصر الفونج ، وغيره من الأجناس الأخرى الغريبة الآتية من دارفور وماوراءها ، ومجموعات عربية صغيرة مستقرة من البديرية والجوامعة ، ويطون بأجمعها من قبيلة الكواهلة وكنانة .

وبالرغم من أن سكان مملكة تقلى كانوا مزيجاً من عناصر مختلفة ، فإننا نجد لهم طابعاً خاصاً يعزى إلى تأثير أجيال متتالية من حكم هؤلاء الملوك الوراثيين الأقوياء المطلقين . ولم تكن دولة هؤلاء الملوك ديمقراطية ، بل كانت أوتقراطية خالصة بسيطة . وكانت كل السلطة والقوة مركزة فى يد الملك نفسه ، يدير مملكته بواسطة موظفين اثنين ، كانت وظيفتهما وراثية ، وأشهرهما يلقب « بالجندى » ، وكان يصرح لهذا الموظف فقط بمقابلة الملك ، فى أية ساعة من ساعات الليل أو النهار . ولم يكن يصرح لأحد بمقابلة الملك إلا عن طريقه ، كما أنه كان مسئولا عن سلامة الملك ، يشرف على مجموعة « المكوك » فى الجنوب ، وعن طريقه ، تقدم هداياهم وما عليهم من ضرائب إلى الملك . أما الموظف الآخر فيلقب « بالسوكاراوى Sokarawi » . ولم تكن علاقة هذا الموظف بالملك وثيقة كعلاقة الجندى به ، وهو مسئول عن أجزاء المملكة فى شمال وشرق تقلى . وبعض

(١) قبائل النوبا غير سكان بلاد النوبة التى فى جنوب مصر .

مكتبتنا العربية

ملوك تقلى كانوا يتخذون وزراء ، يلقون إليهم بكثير من السلطة ، وهؤلاء الوزراء من أقرباء الملك . وعبء انتخاب الملك ، إذا كان هناك أكثر من مرشح واحد ، يقع على عاتق الجندى ، ولم يكن أحد ليستطيع الاعتراض على سلطة الملك المطلقة ، أو مركز عائلته الرفيع . ولم يكن نتيجة ذلك فقط ، الاتحاد الواضح بين أجزاء المملكة ، واختفاء الفوضى من أى لون كانت ، بل صحب ذلك أيضاً ، تجانس فى عادات وطرق معيشة الناس جميعاً . وكان هذا هو المعنى الجليل الذى خلد اسم تقلى فى العالم ، بحيث كان الشخص يفضل أن يدعى تقلاويا — إذا كان ثمت ما يدعوه إلى ذلك — على أن ينسب نفسه إلى قبيلته الرئيسية .

وسكان تقلى جميعا يتصفون بالذكاء ، وهم فلاحون كادحون ، يجدون اللذة كلها فى زراعة محصولات جديدة ، ولا يحتقرون الطرق المستحدثة التقدمية . وهم إلى جانب ذلك مشغوفون بالتعلم ، ويستحسنون الوسائل الطبية . ولم يكن خضوعهم التام للملك ، نتيجة أفق ضيق ، ولكن لطول ما لازمت الصفة الأرستقراطية التقليدية بينهم الحاكم . وهذا فى حد ذاته علامة على تميز جنسهم ، ودليل على التقدم لا التأخر . ومثل هذا النظام ، الذى تعنى فيه السلطة تقدير المسئوليات أكثر مما تعنى خلق أدوات جديدة ، يكون أسسا ثابتة لتقدم المملكة ورفاهية أهلها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أما عن الإسلام فى تقلى ، فقد عرف الإسلام هنا على يد هذا الرجل الجعلى الفقير ، الذى أسس المملكة ونسل منه ملوك تقلى الذين حكموا أربعمائة عام . والإسلام هو العنصر الفعال فى تطور تاريخ هذه المملكة . وليس من العسير على أى زائر لتقلى اليوم أن يتبين أهمية الإسلام فى حياة أهلها . ففى كل قرية هامة يوجد مسجد ، وهو مكان لحفظ القرآن وللصلاة ، يقوم ببنائه رجل محسن ذو مركز ملحوظ ، ثم يقوم نسله على خدمته من بعده . وجميع أهل تقلى دينون بطبعهم . وتعتبر تقلى قلعة من قلاع الإسلام الحصينة ، ويتبع الأهالى كثيراً من الطرق الدينية ، ولكن أغلبهم يتبع طريقة الشريف يوسف الهندى.

وإلى مقال قادم نتابع فيه الحديث عن هذه المملكة ، ذات الشأن الخطير فى تاريخ الإسلام بالسودان .

عبد المنعم محمد الشيخ
مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

مكتبتنا العربية

الكتب

درجات الناس

هو كتاب نفيس لفضيلة الأستاذ الشيخ طه محمد الساكت ، وهو أعرف من أن نعرّفه إلى قراء مجلة الأزهر ، لأنه من أركان تحريرها من سنين كثيرة ، وهو يتصل بقرائها فى كل شهر حول سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا ألف كتابا ليتكلم فيه على درجات الناس فإن أول ماينظر به إلى درجاتهم ، المقاييس التى قررتها سنن الإسلام ، وعمل بها أهله الأولون من الصحابة والتابعين .

والمؤلف : يرى أن سبب مصائب المسلمين ، أنهم فقدوا قاعدة التناصح والتواصى بين الراعى والرعية إلا رسوما ومظاهر لا تغنى فتيلا ، وقد ضرب الأمثلة لذلك من التاريخ وقرر قاعدة الإسلام « كما تكونون يولى عليكم » . وقال فى درجات الأفراد ماقالته فيهم السنة المحمدية « الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة » ، ووصف المثل الكامل الذى رسمه الإسلام وقال إن الكمال درجات ، والأمم أيضاً درجات كما أن الأفراد درجات . وذكر فضل الصحابة والأدب معهم ، ونوه بمقام التابعين وأتباعهم . ولو شئنا أن نمضى فى كل ما تعرض له المؤلف مما به صلاح الراعى والرعية لاحتجنا إلى نشر كتابه كله ، ولكننا نحيل القارىء عليه ، ونصح له بإطالة التأمل فيه . ومن مظاهر التقدم فى الوعى الإسلامى أن هذا الكتاب تنتشر منه الآن الطبعة الثالثة ، مع أن طبعته الأولى قريبة العهد بالناس . وقد جاءت هذه الطبعة فى ١٢٧ صفحة كبيرة . فنحث القراء على مطالعته .

تاريخ العراق لابن سند

والاسم الذى يعرف به تاريخ العراق لابن سند هو (مطالع السعود) سجل فيه أحوال العراق فى خمسة وخمسين عاماً ، من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١٢٤٢ ، وما مضى عليها فى تلك المدة

مكتبتنا العربية

من أحداث فى حواضرها وعشائرها ، وفى عاصمتها بغداد والمنطقتين التابعتين لها فى الشمال والجنوب ، وهما منطقة الموصل وتكريت وبلاد الكرد ، ومنطقة البصرة والمنتفك وعشائر العراق . وكان المقصود بهذا التاريخ تسجيل أحداث ولاية داود باشا الذى كان من وجوه كثيرة مشابهاً لمحمد على فى موقفه وآماله فى مصر ، لكن ابن سند بدأ بتاريخ العراق من سنة ولادة داود باشا ، فذكر فيه أخبار الولاة الذين كانوا من سنة ١١٨٨ ، فجاء تاريخه حلقة ثمينة فى سلسلة تاريخ العراق ، ولما كان المؤلف شاعراً ، فقد امتلأ تاريخه بشعره وشعر غيره ، فرأى الشيخ أمين بن حسن الحلوانى المدرس فى الحرم النبوى الشريف فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، أن يحذف منه القصائد ليكون مقتصراً على الحوادث فجاء ، هذا المختصر جامعاً مفيداً . وكان الحلوانى قد طبعه فى الهند سنة ١٣٠٤ هـ ، وأصبحت نسخه الآن أندر من المخطوطات ، فتولى رئيس تحرير هذه المجلة تحقيقه والتعليق عليه ، ووضع الفهارس المتعددة له ، ونشره أخيراً مصدراً بترجمة ابن سند ، وترجمة للشيخ الحلوانى ، فجاء فى ٢٣٠ صفحة حافلا بما يصور حالة العراق فى المدة التى استقصى أخبارها .

رسالة الصلاة للإمام أحمد

صلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله مع قوم فرآهم يسيئون فى صلاتهم ، ويسابقون إمامهم فى الركوع والسجود والخفض والرفع ، فكتب إليهم هذه الرسالة يعظم لهم أمر الصلاة ، وأنها حق الله على عباده ، وأن من أقام ما بينه وبين الله على وجهه الذى أمر به فهو على إقامة ما بينه وبين الناس أقدر ، ومن استهان بها فهو بما بينه وبين الناس أشد استخفافا واستهانة . وبعد أن أورد لهم النصوص من سنة رسول الله ﷺ على ماينبغى للمسلم من إقامة الصلاة وحسن أدائها قال فى آخرها : « رحم الله امرءاً احتسب الأجر والثواب ، فبث هذا الكتاب فى أقطار الأرض » .

وإن فريقا من الشباب الجامعى ممن ألفوا « لجنة الشباب المسلم » أرادوا أن يكون لهم نصيب من الدعوة الصالحة التى ختم بها الإمام أحمد رسالته ، فبادروا إلى طبعها طبعا جميلا ، وعهدوا بتصحيحها ومراجعتها إلى الأستاذ محمود محمد شاكر فجاءت فى ٦٤ صفحة صغيرة . وهى مما لا يستغنى عن قراءته مسلم .

مكتبتنا العربية

النشاط الثقافي للأزهر

المقارنة العلمية بين الشريعة والقوانين

كان بعض أعضاء جماعة كبار العلماء قد اقترحوا ، قبل نحو عشر سنين على مشيخة الأزهر ، تأليف لجنة منهم للقيام ببحوث فى المقارنة العلمية بين الشريعة والقوانين ، وتألفت بالفعل لجنة لذلك . ثم تجدد هذا الاقتراح فى عهد الشيخ مأمون الشناوى - رحمه الله - ولم تنته هذه الاقتراحات إلى عمل منظم ، لأنها لم توضع موضع التنفيذ حتى الآن . وأخيراً تقدم بعض أعضاء جماعة كبار العلماء إلى المشيخة بمثل هذا الاقتراح ، فعرض ذلك على الجماعة ، ورأت جماعة كبار العلماء أن تحيل هذه المقترحات إلى لجنة من أعضائها لبحثها ودراستها .

ومما تعنى به المشيخة كذلك محاربة البدع الضارة بعقائد المسلمين ، وهى آخذة بسبيل ذلك من تعريف هذه البدع وتحديدها وتعيين الطرق التى تحارب بها . وهى موقنة بأن العهد الجديد يؤيدها فى ذلك ويعينها على إنقاذ الأمة مما ابتليت به من بدع وخرافات ، لأنها من صميم البرنامج الإصلاحى .

وهنالك أمور ألحقت بالعقائد وليست منها ، ومن أهم واجبات الأزهر ، بيانها للناس ، وإرشادهم إلى العقائد السليمة التى جاء بها الدين .

ولهذا وذاك تألفت من جماعة كبار العلماء لجنة تسمى (لجنة تنظيم النشاط العلمى للجماعة) وقد تفرعت إلى شعبتين أصليتين (شعبة الدرس) و (شعبة البحث) ، والشعبة الأولى يقوم بها هيئات التدريس فى الكليات والمعاهد ، وأما الشعبة الثانية فتتولى البحث والإنتاج خارج النطاق المدرسى . وهى تتفرع إلى أغراض كثيرة ، من بينها القيام بدراسة واسعة للمقارنة بين الشريعة والقوانين الوضعية فى جميع المواضع المشتركة بينهما ، واستنباط الأصول الكلية التى يلزم التحاكم اليها فى الفصل بين السنة والبدعة ، وتطبيق هذه الأصول على العادات الجارية ، تطهيراً للشريعة مما ألصق بها وليس منها .

وقد رأت اللجنة مراعاة التنظيمات الآتية :

١ — يعد للجماعة مكان مناسب يتسع لاجتماعاتها ، ولنشاط اللجان المختلفة التى تؤلفها ، بحيث يكون بمثابة (المجمع العلمى الأعلى للأزهر)

٢ — يزود هذا المكان بمكتبة كاملة ، مجهزة بالمؤلفات القديمة والحديثة والصحف ليستعين بها الباحثون فى مختلف المسائل .

٣ — رئيس المجلس هو رئيس الجماعة ، وله نائبان وسكرتير فنى .

٤ — أعضاء المجمع الأساسيون هم أعضاء الجماعة . ويحسن أن يضم إليهم أعضاء مندوبون أو مراسلون من مشاهير علماء مصر والعالم الإسلامى .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم في شهر

العربية في باكستان

قررت لجنة الكتب المدرسية في وزارة المعارف لمقاطعة «بهاولبور» من بلاد باكستان أن يكون تعليم اللغة العربية إجباريا في مدارس المقاطعة .

مؤتمر للغة السنسكريتية

تحتفل مدينة بومباى (ثغر الهند) عند مثول هذا الجزء للطبع بعقد مؤتمر لغوى عظيم يشترك فيه نحو مائتى عالم متخصص باللغة السنسكريتية القديمة ، لتيسير نشرها والانتفاع بها فى حياة الهند الجديدة .

واللغة السنسكريتية بالنسبة إلى الهند تشبه من وجوه كثيرة اللغة اللاتينية بالنسبة إلى لغات أوربا .

ولما كانت الهند كثيرة اللغات بحيث لا يتفاهم أهل لغة منها مع أبناء اللغات الأخرى ، فقد كانوا فى عهد الاحتلال البريطانى الذى انتشرت فيه اللغة الإنجليزية بين جميع المثقفين وأصحاب المصالح فى الحكومة ، قد اتخذوا من اللغة الإنجليزية لغة مشتركة للتفاهم ، وفى الوقت نفسه كانت جماهير المسلمين تعتمد فى التفاهم — إلى حد كبير — على اللغة الأوردية . وفى مقابل ذلك تحاول حكومة الهند أن تستفيد من معارف المتخصصين بالسنسكريتية لأجل تعميمها وتيسير الانتفاع منها فى الحياة العامة .

الدين والأخلاق فى المدارس

أقامت مدرسة القبة النموذجية الثانوية حفلا خاصاً لجملة من آباء التلاميذ عددها خمسة عشر والداً ، يختارون بالاقتراع ، للتشاور معهم فى شئون المدرسة بمناسبة العام الدراسى الجديد. وقد كان من أعضاء هذه اللجنة - منذ العام الماضى - الرئيس اللواء محمد نجيب ، وبالرغم من كثرة أعماله حرص على حضور هذا الحفل الذى خطب فيه ناظر المدرسة والدكتور مهدى علام وكيل كلية الآداب بجامعة إبرهيم، ثم تكلم الرئيس اللواء محمد نجيب فقال :

« يلذ لى أن أتحدث عن التعليم فإنه من أحب الموضوعات إلى قلبى لسببين : أولهما أنى بدأت دراستى بدراسة التربية والتعليم ، فقد كان التخصص يبدأ من أول المدرسة الثانوية فى السودان حيث تعلمت ، وأردت أن أدرس

مكتبتنا العربية

لهندسة فلم أمكن من ذلك ، ووجهت إلى قسم المعلمين فدرست فيه أربع سنوات وكان مما درسته التربية وعلم النفس . والسبب الثانى أننى أرى أن التربية والتعليم هما دعامة كل تقدم فى حياتنا » .

ثم وجه حديثه للمعلمين فقال : « إنكم من خيار الناس ، وإنها لفرصة من خير الفرص ، أستطيع فيها أن أفصح عن بعض ما فى نفسى : لا شك أنكم أنتم الذين تضعون الاسس فى الأمة كلها ، وعلى أيديكم بناء أبنائنا ؛ وعلى قدر ما تكون متانة الأساس تكون متانة البناء ، فعليكم أنتم بناء الأمة .

« إن التربية هى إعداد التلاميذ لحسن التصرف فى مواقف الحياة . ويجب أن يكون هذا هو هدفنا من التعليم . نريد من مدارسنا أن تخرج شبانا أقوياء أصحاء البنية قادرين على التفكير السليم متخلقين بالخلق الكريم . لا نريد شبابا ناعما كالذين يلبسون القمصان المشجرة فإن فيهم طراوة ورخاوة ، إنما نريد شبابا خشنا يستطيع مواجهة مواقف الحياة ومصاعبها ، حتى يستطيع الوطن أن يعتمد عليهم . لا نريد أن يكتفى شبابنا بمعرفة الفضائل بل يجب أن يتخذوها أساساً لسلوكهم .

« إن الدين أساس الأخلاق . ولقد تلقيت تعليمى فى السودان فى مدرسة كان يشرف عليها انجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ، ولهذا فأنا مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد . وأنا لإيمانى بأن الدين أساس الأخلاق لا أمانع فى تدريس الدين ، حتى الدين اليهودى ، بشرط أن يكون فى أيد أمينة ، أيد تعتبر الوطنية من دينها فإن الدين شىء والتعصب الدينى شىء آخر . وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

الكليات العملية لا النظرية

اجتمع مندوب المصرى فى الإسكندرية بوزير المعارف وهو يغادر مصر إلى باريس لحضور مؤتمر اليونسكو ، فسأله عن بعض شئون التعليم والمعارف ، ولما سأله عن جامعة محمد على التى لم يتم إنشاؤها بعد ، قال له الوزير : من رأيى أن نبدأ بإنشاء الكليات العملية لا الكليات النظرية ، وذلك لأننا فى عهد يحتاج إلى التصنيع والإنشاء والتعمير وهذه الكليات تحتاج إلى معامل وورش لا يمكن أن تتم قبل عامين على أقل تقدير .

الفردية والوعى الاجتماعى

يقول الدكتور محمد جمال صقر فى مقال له عن عيوب المدارس المصرية : إن الأطفال فيها يجلسون فى الفصل جنباً إلى جنب كأنهم جمع لا رابطة تربط بين أفراده إلا مجرد الصدفة التى جمعت بينهم فى فصل واحد . والمعروف عند المدرسين وعند التلميذ أن

مكتبتنا العربية

القانونين الأساسيين السائدين فى تنظيم العمل المدرسى والبيئة المدرسية هما : « على كل أن يعمل لنفسه » ، و « على كل فرد أن يسعى إلى سبق زملائه ما استطاع » . ونظام هذا قوامه لا يعد الفرد إلا لمجتمع تنتعش فيه الأنانية ، وإثارة النفس على الغير ، والعمل على استغلال الآخرين للمصلحة الذاتية ، والتغالى فى حب الذات ، وتسخير كل ما حول الفرد لإشباع الحاجيات الفردية ، وما يستتبع ذلك من طرق باب الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى الغاية المرجوة .

أما التربية التى يجب أن نوجه إليها اهتمامنا ، فهى التى تهدف إلى تنمية صفتين أو خاصتين طالما ساد الاعتقاد بأنهما متعارضتان ، وهما « الفردية » و « الوعى الاجتماعى » ، كى نستطيع التوفيق بين إمكانيات الطفل ومطالب المجتمع ، وبين الخبرة الفردية والمثل العليا الاجتماعية .

سياسة التعليم فى وزارة المعارف

يقول الأستاذ سيد قطب فى مقال له بجريدة الأخبار الجديدة : إن الإنجليز كانوا يدركون أنهم فى يوم من الأيام - قريب أو بعيد - سيجبرون على التخلى عن الإدارة المباشرة لجهاز مصر الحكومى ، لذلك لم يكن لهم بد من تربية أجيال من « الإنجليز السمر » تسير سياسة التعليم فى وزارة المعارف إلى أمد طويل . وهذا هو الذى كان ! ألا نقرأ فى كتب التاريخ التى بين أيدى التلاميذ يوما هذا العنوان : « مزايا الحملة الفرنسية على مصر » ؟ أو هذا العنوان : « الإصلاحات التى تمت فى عهد الاحتلال » ؟ وما ذا كانت السياسة الاستعمارية تملك أكثر من أن تسجل فى ضمير الناشئة أن الحملات الاستعمارية يمكن أن يكون لها مزايا ، وأن تتم فى ظلها إصلاحات ؟ ! .

ثم هذه العزلة المطلقة بين المدرسة وبين المشكلات الحية للشعب وللحياة القومية ، وتحريم الدراسات السياسية والاجتماعية على المدرسة طوال هذا الأمد ، وتحقير دين الشعب ومقوماته ، حتى ليقف رجل ذو مركز خطير جدا اليوم فى وزارة المعارف ، يقف يوما فى معهد التربية ليقول لطلابه الذين سيصبحون مدرسين : إن محمد ابن عبد الله كان مصروعا ، وإن ما كان يسميه الوحى هو هذا الصرع الذى كان ينتابه .

إننا نخدع أنفسنا إذا اعتقدنا أن « دنلوب » قد ذهب من وزارة المعارف ، فان شبح دنلوب لا يزال هناك . . بل إن أشباح دنلوب ما تزال قابعة فى كل مكان .

وواجبنا هو ألا نستسلم للبساطة المريحة فى معالجة آثار الاستعمار الفكرى والروحى واقتلاع جذورها من الأساس ، ولن نقتلع هذه الجذور إلا يوم أن يصبح المشرفون على تنشئة الأجيال المقبلة من المؤمنين بمصر والمؤمنين بمقومات الشرف .

مكتبتنا العربية

العالم الإسلامي في شهر

مصر والسودان

اتفقت مصر في الشهر الماضي مع جميع الأحزاب السودانية على ما يأتي :

تؤمن الحكومة المصرية إيمانا ثابتاً بحق السودانيين في تقرير المصير، وفي ممارستهم له ممارسة فعلية في الوقت المناسب، وبالضمانات اللازمة.

ورغبة في بلوغ هذا الهدف تبدأ على الفور فترة انتقال تستهدف تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتي الكامل، وتهيئة الجو الحر المحايد الذي لابد من توافره لتقرير المصير.

ولما كانت فترة الانتقال هي تمهيد لإنهاء الإدارة الثنائية انهاء فعليا، فإن هذه الفترة تعتبر تصفية لهذه الإدارة، وتعلن الحكومة المصرية أن السيادة على السودان تظل محتفظا بها للسودانيين إلى أن يتم لهم تقرير مصيرهم.

فرنسا والمغرب الأقصى

احتفل في المغرب الأقصى بمرور ربع قرن على ولاية سلطانها سيدي محمد بن يوسف فأذاع في أمته خطابا رائعاً لهذه المناسبة قال فيه:

« إني متأثر أشد التأثر بصداقة الفرنسيين إلا أنني أود لو ابتعدوا عن شئوننا الداخلية»

ثم ذكر معاهدة سنة ١٩١٢ التي تحتج فرنسا بها في تحكمها بالشعب المغربي وبلاده فوصف تلك المعاهدة بأنها « ملابس طفل يراد فرضها على رجل كبير ». ثم قال : ولا شك أن إخفاق فرنسا في التقدم بمقترحات فعالة تتفق مع روح العصر هو السبب في هذا التوتر الشديد الذي يسود شمال إفريقية. وقد رفضنا مشروع الاصلاح الفرنسي لأنه يقوض دعائم سيادتنا».

ثم استعرض المراحل التي مرت بها المفاوضات الطويلة مع الفرنسيين، فاتهم فرنسا بأنها تحاول الابقاء على الحالة السيئة الراهنة نصاً وروحا. وسرد الاقتراحات الفرنسية للإصلاح مستدلا بها على سوء نية الفرنسيين.

انضمام ليبيا الى الجامعة العربية :

افتتح الملك إدريس السنوسي البرلمان الليبي، وتلى خطاب العرش وفيه تنويه بالعلاقة الطيبة بين ليبيا وشقيقتها الكبرى مصر والدول العربية الأخرى ثم قال : وسنعمل على الانضمام إلى الجامعة العربية وحضور وفد ليبي في الاجتماع الذي تعقده الجامعة في شهر مارس المقبل.

مكتبتنا العربية

تعويضات ألمانيا لإسرائيل

ومشكلة اللاجئين العرب

كان فى ألمانيا عند ما تولى هتلر السلطان عليها فى سنة ١٩٣٧ نحو ٥٣٠ ألف يهودى. فلما رسمت حكومة هتلر خطتها للتحرر من اليهود وتأثيرهم الفكرى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى على ألمانيا، جمعت مؤلفات علمائهم فى الميادين العامة وأضرمت فيها النار، ثم أخذ اليهود فى الرحيل إلى بلاد أخرى، وأكثرهم تحول إلى فلسطين حتى بلغ عدد المهاجرين إليها من يهود ألمانيا ٣٠٠ ألف. ومع أن القائمين على السياسة الصهيونية كانوا مسرورين من نزوح بنى جنسهم عن ألمانيا ليستعمروا بهم بلاد العرب فى فلسطين فإنهم استغلوا هذا الحادث وبالغوا فيه وجسموا وقائعه وملأوا الدنيا صراخاً بالشكوى.

وأخيراً حملوا أمريكا وانجلترا وفرنسا على إرغام حكومة ألمانيا الغربية بتعويض اليهود الذين زعموا أن هتلر طردهم من بلاده، متجاهلين أن القوانين المعمول بها لا تجبر أية حكومة على دفع تعويضات من غير طريق القضاء فى دعاوى شخصية لأشخاص كانوا من رعاياها. غير أن موقف ألمانيا الغربية السياسى فى الوقت الحاضر أجبرها على الإذعان فتقدمت بتعويض مقداره ٨٣٠ مليون دولار تعهدت بتسليمها إلى حكومة إسرائيل أقساطاً نقدية ومصنوعات مما تحتاج إليه إسرائيل فى استعدادها الحربى والصناعى.

وقد رأت الحكومات العربية أن فى ذلك تهديداً لها وإطالة لحياة حكومة إسرائيل عشرة أعوام أخرى أو أكثر، وستكون منه سابقة لأخذ اليهود تعويضات أخرى من بلاد يزعمون أن بنى جلدتهم اضطهدوا فيها أيضا، ومنها النمسا وألمانيا الشرقية وهنغاريا ورومانيا وبولندا ... الخ.

وتقول الحكومات العربية فى مذكرة أرسلتها إلى ألمانيا الغربية: إن إسرائيل فى حالة حرب الآن مع سبع دول عربية، فعلى الدول المحايدة — ومنها ألمانيا — التزام واجب الحياد، وعدم تقديم مساعدات لأحد الطرفين المتحاربين. وإن مساعدة ألمانيا لإسرائيل ستخل بالتوازن الحالى فى الشرق الأدنى، وتمكن إسرائيل من القيام بعدوان على البلاد العربية. ثم إن إسرائيل ليست وريثة حقوق اليهود المتضررين، فكيف تكون طرفا فى تسوية مع ألمانيا على حقوق يهود لم يكونوا رعايا حكومة إسرائيل، وكيف يحكم أى قانون خاص أو دولى على ألمانيا بدفع تعويض لإسرائيل التى لم تكن موجودة يوم وقع الاضطهاد المزعوم من ألمانيا على رعاياها اليهود. زد على ذلك أن حكومة إسرائيل لا تعترف بحق التعويض فى القانون الدولى، ولو كانت تعترف بهذا الحق لدفعت تعويضات إلى اللاجئين العرب وفقا لقرارات الأمم المتحدة.

ودعوى إسرائيل أنها تتقاضى هذه

مكتبتنا العربية

التعويضات لقاء ما أنفقته على إسكان نصف مليون يهودى طردهم النازى فهاجروا إلى فلسطين ، منقوضة بأن معظم هؤلاء قد هاجروا قبل حكم النازى أو بعد انتهائه ، ولم يكن لهم باعث على القدوم إلى فلسطين التى كانت آهلة بسكانها العرب ، فكان مجيئهم الاختيارى اضطهاداً للعرب ، وبغياً عليهم ، واغتصابا لوطنهم .

وقد عرض وزير الخارجية المصرية فى خطابه الذى ألقاه فى هيئة الامم وجهة العرب فى هذه القضية فقال :

« إن بعض مشاكل الشرق الأوسط التى لم تستطع الأمم المتحدة أن تجد لها حلا صالحاً إلى اليوم ستبقى دائماً موضع تفكير مصر والبلاد العربية قاطبة وانشغالها . ولا زال هذا هو حال اللاجئين العرب الذى يثير القلق ، ولن يكون أى مشروع جديراً بالالتفات إذا لم يكفل حلا إنسانياً عادلا لمثل هذه المشاكل . ولقد شرد تحت ضغط الصهيونية العالمية أكثر من مليون من العرب وانتزعوا من ديارهم فى فلسطين فى غير رفق ولا رحمة ، ولأول مرة فى التاريخ يحدث أن يشرد سكان متوطنون فى بقعة ما ليحل محلهم أناس غيرهم بزعم أنهم شردوا من بقاع أخرى .

ولقد وقع أخيراً الضغط نفسه على حكومة ألمانيا الغربية ، وإن خضوع هذه الحكومة بقبولها تزويد إسرائيل بمبالغ نقدية كبيرة تحت ستار التعويضات وبكميات هائلة من الآلات الثقيلة لاستخدامها فى تقوية إمكانياتها الاقتصادية والحربية ، لا يحدونا إلى التفاؤل بمستقبل السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط . وإن الحكومة المصرية لتنتظر فى قلق بالغ إلى اتفاق التعويضات المقترح . وإننا لعلى يقين تام أنه لا حق لإسرائيل بأية حال فى الحصول على تعويضات من ألمانيا نيابة عن يهود العالم أجمع ، إذ ليس ذلك من حقها ، كما أنه ليس من حق أى بلد إسلامى أو مسيحى الحصول على مثل هذه التعويضات باسم المسلمين أو المسيحيين فى جميع أنحاء العالم » .

قضية كشمير

كما تصفها صحيفة أمريكية

وصفت صحيفة (بالكجراوند فور تومورو) التى تصدر فى واشنطن قضية كشمير بقولها : « إن الهند لم تعد تكتفى بأن تجعل من غزو كشمير مادة للسخرية من الغرب ، بما تبديه نحوه من عدم المبالاة ، بل هى تحاول أن تجعل منه وسيلة لتحطيم الباكستان كأمة . وعجز الأمم المتحدة عن القيام بعمل إيجابى حول هذه الأزمة سيؤدى حتما إلى شعور سكان هذا الجزء وغيره من العالم بأن هذه الهيئة الدولية تسعى إلى حتفها بما تتخذه لنفسها من سياسة عقيمة مرتجلة .

مكتبتنا العربية

« إن جهود الدكتور فرانك جريهام الشفوية لم تفلح فى زحزحة نهرو عن موقفه إزاء كشمير ، وهو موقف يذكرنا بستالين ، كما أن موجة الاستياء من الكتلة العربية الآسيوية ومن أعضاء مجلس الأمن لم تجد من يعبأ بها ، وأن نيودلهى تقف من كل هذا ساكنة لا تتحرك بينما كراتشى قد بدأت تفقد صبرها . ويحاول نهرو - بأقصى استطاعته - ألا يسمح لأمة إسلامية بأن تشاركه وقومه الهندوس فى القارة الآسيوية ويساعده على ذلك أن اقتصاد الباكستان يعتمد على نهر السند الذى تغذيه أنهار كشمير الثلاثة ، فاتخذ من ذلك سلاحاً حاداً وورقة رابحة يلوح بها كيفما شاء مدعيا أنه يعمل بذلك على تنمية المصادر الطبيعية لبلاده .

« وبعد جهد طويل وافق نهرو على إجراء استفتاء فى كشمير ، وهو يستخدم القوات الهندية وغيرها من وسائل القمع لتهيئة الجو لاستفتاء يحصل عليه كما يريد . وإن الهنود اتخذوا من هذه المسألة نكتة يتندرون بها على الأمم المتحدة . هذا بينما الأموال الأمريكية تستخدم لبناء السدود وتنظيم المياه بطريقة تقضى بالحرمان على الباكستان من الرى الذى يبقى على حياة ساكنيها . وإذا نشب القتال بسبب ذلك فلن يقتصر على كشمير ، بل لا بد أن يعم الباكستان والهند جميعاً » .

من أسباب ثورة ماو - ماو

زار نائبان بريطانيان من حزب العمال بلاد كينيا التى نشبت فيها الثورة المعروفة هناك بثورة ماو - ماو . ولما أخذا يبحثان عن أسباب الاستياء التى دفعت الوطنيين إلى هذه الثورة أخذ عدد كبير من الأهالى يتصلون بهما ويفضون إليهما بشكاوى الإفريقيين من غطرسة المستعمرين وسوء استغلالهم للشعب وفرضهم عليهم رؤساء وأنظمة لا يطيقها البشر .

وهذان البريطانيان هما مستر فينر برد كواى ومستر ليزوى هيل . ولما وصلا إلى مدينة نيروبى فى شرق إفريقيا أعلنا استياءهما واعتراضهما من قيام السلطات الاستعمارية بالقبض على عدد كبير ممن اتصلوا بهما أثناء زيارتهما لكينيا .

وقد صرح مستر ليزوى هيل بأن من أسباب هذه الثورة ما يعانيه الأهالى من الجوع ، وانخفاض أجور العمال الإفريقيين ، وارتفاع الأسعار . ثم إن السلطات الاستعمارية تفرض على الأهالى والقبائل رؤساء وضيعين منحطى الأخلاق .

فإذا كان هذا بعض ما يقوله نائبان بريطانيان عن فساد الحكم الاستعمارى حتى أدى إلى ما نسمع به - من جانب واحد - عن تفاصيل تلك الثورة ، فكيف لو تمكن سكان كينيا من بسط شكواهم وإذاعتها فى العالم ؟!

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

وزارة الارشاد القومى :

تألفت فى مصر وزارة جديدة للإرشاد القومى ، والغاية منها توجيه أفراد الأمة وإرشادهم الى مايرفع مستواهم المادى والأدبى ويقوى روحهم المعنوية وشعورهم بالمسئولية ويحفزهم إلى التعاون والتضحية ومضاعفة الجهد فى خدمة الوطن . وتزويد الرأى العام العالمى بأصدق البيانات والإحصائيات والأرقام والصور عن حقائق الأمور فى مصر .

وقد تكونت نواة هذه الوزارة من الإذاعة المصرية ، ومصلحة السياحة ، وإدارة الدعاية والإرشاد الاجتماعى ، ومراقبة الأفلام والسينما ، وإدارة المطبوعات ، والمكاتب الصحفية بهيئات التمثيل المصرى فى الخارج ، ومعرض وادى النيل ، ومؤسسة الثقافة الشعبية وقسم الدعاية الصحية ، ودار الأوبرا الملكية ومتاحف الحضارة المصرية وبيت الأمة والفن الحديث ، والمتحف الحربى عدا المكتبة ، وأقسام الإنتاج السينمائى والفنى فى وزارات المعارف والصحة والزراعة والشئون الاجتماعية .

ولا يبعد أن تتطور هذه الوزارة عندما تسير فى عملها وتتقدم لتحقيق رسالتها .

تعدين الحديد وصناعته بمصر :

أسفرت بحوث بعثة التعدين الفنية التى أوفدتها مصلحة المناجم إلى الواحات البحرية عن اكتشاف طبقات سمكية من رواسب أوكسيد الحديد الأصفر ويتراوح سمكها بين متر وعشرة أمتار ، وهى تختلف عن منطقة مناجم الحديد فى أسوان بأن أوكسيد الحديد فى أسوان أحمر اللون ، وأن سمك طبقاته الظاهرة فوق سطح الأرض أقل من سمك طبقات الواحات البحرية التى تبين أنها غنية بالحديد ، وهى ذات أهمية خاصة نظرا لاهتمام الحكومة المصرية الآن بتنفيذ مشروع مصنع الحديد والصلب . ويقدر خبراء مصلحة المناجم كمية الحديد الموجودة فى هذه المنطقة مبدئيا بنحو عشرين مليون طن .

وينتظر أن توجد مناجم أخرى للحديد فى وادى الكريم ووادى سويحاب أم لصف ، ووادى أم حجالبج ، ولعل حديد هذه المناطق مغناطيسى على شكل طبقات عمودية تتجه إلى باطن الأرض ويتراوح سمكها بين ٣٠ سنتيمترا و١٥ مترا ، وترتفع عن سطح الأرض من ٥٠ إلى ١٥٠ مترا .

مكتبتنا العربية

ويحتمل أن توجد مناجم للحديد فى الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سينا .

وقد قرر مجلس الوزراء الموافقة على مشروع إنشاء مصنع للصلب والحديد تساهم فيه وتديره شركة تساهم فيها الحكومة المصرية والشعب المصرى والممولون الأجانب ، على أن يكون ٥١ فى المائة منها لمصر حكومة وشعباً ، والحكومة تقدم عن نصيبها فى رأس المال ما يوازى قيمة المعدات واللوازم التى اشترتها أخيراً من المانيا وتقوم بإعدادها فى منطقة حلوان . وسيحدد إنتاج المشروع الكامل فى أول مراحله بما لا يقل عن ١٥٠ ألف طن من الحديد والصلب ثم يتوسع به فى المستقبل تمشيا مع التطور الصناعى وتحتفظ الحكومة المصرية لنفسها بحق الأولوية فى الحصول على ما تحتاج إليه من منتجات الشركة اللازمة لأغراضها المختلفة .

قنوات السرود بأعالى النيل :

بين بلدة جونجلى (الغربية من بحر الجبل فى جنوب السودان) ومنطقة الملكال (بين بحر السوباط والنيل الأبيض) مياه وأنهار كثيرة تضيع سدى فلا يستفاد منها فى حصيلة مجرى النيل . وقد قامت وزارة الأشغال المصرية ومهندسو الرى فيها من مصريين وأجانب بالتفكير فى مشروع لشق قناة تجمع هذه المياه وتذهب بها من منطقة بلدة جونجلى إلى النيل الأبيض لتزيد فى حصيلة النيل فيستفاد منها فى الرى مدة التحاريق . وهذه القناة التى يراد شقها يبلغ طولها ٣٠٠ كيلو متر وعرضها ١٢٠ متراً وعمق المياه فيها خمسة أمتار وتصرفها اليومى ٥٥ مليوناً من أمتار الماء المكعبة فى أثناء الفترة الحرجة وإذا ضمت هذه الحصيلة المائية إلى المنقول بواسطة بحر الجبل يزداد الماء الواصل الى أسوان أيام التحاريق بمقدار خمسة مليارات و ٢٠٠ ألف من الأمتار المكعبة فى سنة متوسطة الإيراد .

ويشمل المشروع أيضاً توسيع قناة جونجلى أو تشق قناة أخرى بجوارها موازية لها لحمل خمسة مليارات أخرى من الأمتار المكعبة تصرف من الخزان فى الفترة الحرجة أيضاً لزيادة الماء الواصل لأسوان بمقدار ٣ مليارات و ٣٠٠ ألف متر فى السنين الشحيحة الإيراد . وإذا تم هذا كله تصبح الزيادة المتوفرة فى أيام التحاريق ٨ مليارات ونصف من الأمتار المكعبة ويقدر المسئولون بوزارة الأشغال التكاليف الخاصة بهذا المشروع بنحو ٢٨ مليوناً من الجنيهات .

وقد دعت وزارة الأشغال لجنة دولية من كبار مهندسى الرى مؤلفة من مستر ب . و . هـ . بليجن الخبير الهولندى ، ومستر ز . ا . س رولف ممثل شركة بروس وهويت الانجليزية ،

مكتبتنا العربية

ومستر ف . هنرى شون الخبير الامريكى لزيارة المنطقة المراد شق هذه الترعة فيها بين جونجلى والنيل الأبيض ، وزودتهم بمذكرة عن هذا المشروع وضعها الدكتور محمد أمين ومستر بايدوج المفتش العام المساعد للنيل الجنوبى ، ووزعت عليهم خرائط التقطت لمنطقة السدود من الجو ، وتسلموا مذكرات أعدها الدكتور محمد مجاهد الأستاذ المساعد لعلم النبات بكلية العلوم عن نتيجة دراساته وبحوثه فى الحشائش والنباتات الموجودة فى منطقة السدود . ثم وزعت عليهم مذكرة بالقواعد التى سيجرى عليها بحث المشروع ، وبرنامج الرحلة إلى تلك المنطقة .

وبالفعل سافرت هذه اللجنة بطريق الجو لمعاينة مكان الحفر وطوله وطبيعة أرضه وصخوره وحشائشه ، وصحبهم فى هذه الرحلة الخبير الفنى لوزارة الأشغال والمفتش العام للنيل الجنوبى وينتظر أن ينتهوا من مهمتهم فى أوائل شهر ديسمبر .

انارة مكة بالكهرباء

كانت مكة محرومة من الكهرباء فى زمن الحكم العثمانى ثم فى زمن الحكومة الهاشمية . وبعد التحاق الحجاز بالمملكة السعودية دخلت الكهرباء هذه المدينة الإسلامية المكرمة بما اقامه بعض الامراء والأعيان من أجهزة توليد خاصة عقب تنوير الحرم المكى بالنور الكهربائى .

وأخيراً أخذت الحكومة السعودية فى إنشاء محطة توليد كبرى فى خارج البلد الحرام وقد أوشكت أن تتم فيتيسر بها تنوير مكة كلها بالكهرباء ، وسوف تنتج هذه المحطة فى الأشهر القريبة الآتية ٤٠٠٠ كيلو وات ولا يمر وقت آخر حتى يزيد الإنتاج إلى ١٠٫٠٠٠ . وتوجد غير هذه المحطة الكبرى ١٥ محطة فرعية صغيرة داخل مكة . ويبلغ طول الأسلاك الكبيرة المستخدمة فى هذا المشروع ٢٥ ميلا ، ولا يقوم على تنفيذ هذا العمل إلا مسلمون .

دنانير اسلامية :

عثر عمال كانوا يحفرون لمصلحة الآثار المصرية تحت السور الاثرى لكنيسة أبادير ويوحنا فى خارطة الشيخ مبارك بحى مصر القديمة (الفسطاط) على أربع دنانير ذهبية إسلامية نقش على وجهها بالخط الكوفى « لا إله إلا الله لا شريك له ، محمد رسول الله » وحجم الدينار ووزن ذهبه أقل من نصف الجنيه الإنجليزى ، وقد باع العمال هذه الدنانير إلى أربعة من الصاغة وتجار من الحلى ثم اختلفوا فيما بينهم فافتضح أمرهم واستطاع البوليس أن يسترد دينارين من التاجرين اللذين اشتريا هما . والمظنون أنهما من العصر الطولونى قبيل مجىء الفاطميين . ولا يبعد أن تظهر فى تلك المنطقة نقود أخرى عندما يستمر الحفر تحت السور .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الثالث — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٢٦٥	كيف بنى محمد الأمة الاسلامية	الاستاذ محمد عرفه مدير المجلة . . . .
٢٦٨	الانسانية بين النظام المحمدى والنظام الاسرائيلى	« محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢٧٤	موهبة النبى (ص) السياسية	« محمد محمد أبو شهبة . . . . .
٢٧٨	فى الفقه الاسلامى	الدكتور محمد يوسف موسى . . . . .
٢٨٣	طوائف : بهائية وبكتاشية — ثم جماعة التقريب	الاستاذ محمد عبد اللطيف السبكى . . .
٢٨٨	نظام الاسلام السياسى	« محمود النواوى . . . . .
٢٩٦	السنة — الحب الالهى	« طه محمد الساكت . . . . .
٣٠١	أمن الخير أن تبنى الأمة على الحزبية . . .	« م . ع . . . . .
٣٠٤	أعمار زائفة	« الاكبر السيد محمد الخضر حسين .
٣٠٦	تسامح أهل السنة فى الرواية عمن يخالفونهم فى العقيدة	« م . خ . . . . .
٣١٣	سماحة الاسلام فى التعامل مع غير المسلمين . .	حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر . . . .
٣١٧	اليسر وورق اليانصيب	« « « « . . . . .
٣١٩	من صور الفداء فى الاسلام	الاستاذ محمد الغزالى . . . . .
٣٢٤	صحوة الأرواح	« محمد خليفة . . . . .
٣٢٦	بين الفلسفة وعلم الكلام	« على مصطفى الغرابى . . . . .
٣٢٩	قاصمتان خبيثتان فى مجلة دار التقريب . . .	« م . خ . . . . .
٣٣١	أثر العقيدة فى نفوس المسلمين	« عبد الرحيم فرغل . . . . .
٣٣٤	آراء وأحاديث	« م . ع . . . . .
٣٤١	فلسطين العربية الاسلامية	« محمد صبرى عابدين . . . . .
٣٤٤	لغويات : المعمى واللغز	« محمد على النجار . . . . .
٣٥٠	الاحتكار والربح الفاحش حرام كالربا . . .	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر . . .
٣٥٢	العناية بدراسة الاسلام فى جامعات العالم . .	الاستاذ محمد عبد السلام الفبانى . . . .
٣٥٥	من ذكريات الميلاد	« عبد الحميد محمود المسلوت . . .
٣٦٠	تحديد الملكية فى الاسلام	« أحمد فهمى أبو سنة . . . . .
٣٦٤	حاتم الأصم	« عبد الله قاسم صقر . . . . .
٣٦٧	حاجة الشرق إلى حكم صالح	« محمود فياض . . . . .
٣٧١	مولد منقذ الانسانية	« محمد عبد المنعم خفاجه . . . . .
٣٥٧	روضة الشعر	« محمد عبد القادر . . . . .
٣٧٦	مملكة تقلى	« عبد المنعم محمد الشيخ . . . . .
٣٧٩	الكتب	
٣٨١	النشاط الثقافى للأزهر	
٣٨٢	الآداب والعلوم فى شهر	
٣٨٥	العالم الاسلامى فى شهر	
٣٨٩	أنباء العالم الاسلامى	

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى